صعصعة بن صوحان العبدي

هوية الكتاب

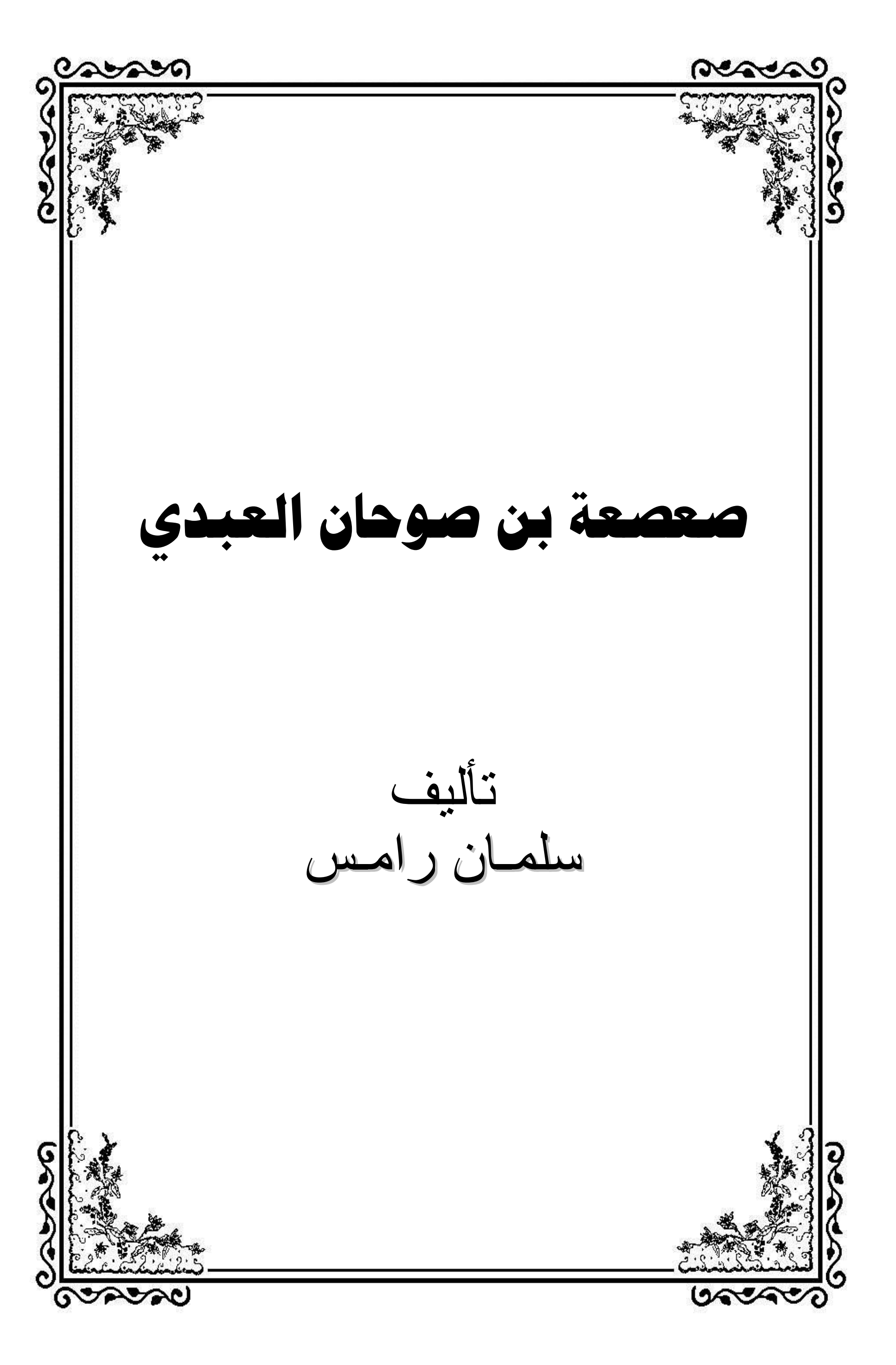
اسم الكتاب: .... صعصعة بن صوحان العبدي

المؤلف: .... سلمان رامس

الناشر: .... المؤلف

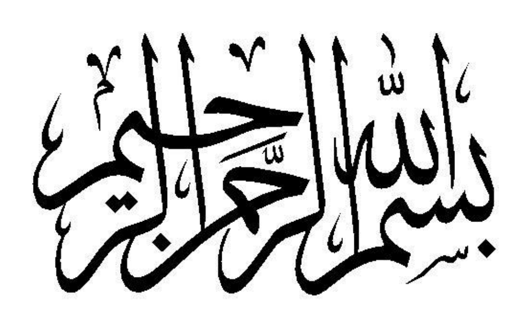
الطبعة: .... الأولى / رجب ١٤٢٩هـ

عدد النسخ: .... ١٠٠٠ نسخة



صعصعة بن صوحان العبدي

تأليف
سلمـان رامـس


بسم الله الرحمن الرحيم

البطاقة الشخصية :

الاسم: صعصعة بن صوحان العبدي
مكان الميلاد: جزيرة تاروت
تاريخ الميلاد: عام ١٤ قبل الهجرة تقريبا
مكان الوفاة: قرية عسكر في مملكة البحرين وقيل بالكوفة
العمر عند الوفاة: ٧٠ عاما

مقدّمة

إنّ المتتبع لسير الرجال الواقف على أحوالهم، ومواقفهم يجد مادة غنية في مجالات الحياة المختلفة، ودروسها الخلاقة في مكافحة الظلم، ومقارعة العدوان، وكيفية التعامل مع المستجدات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي تبتلى بها الأمم .

إنّ الوقوف على أحوال الرجال وسير العظماء - في الأزمنة المختلفة - يسمح لنا من خلال السرد التاريخي، وتحليل الأحداث والوقائع، ومقارنة المواقف - معرفة أهم نقاط القوة التي كان يتمتع بها هؤلاء الأفذاذ حتى أصبحوا عظماء في سماء الإنسانية، وكان لهم دورهم المميز على أرضية الواقع، وأصبح الناس يحسبون لهم ألف حساب، ويقف التاريخ إجلالاً واحتراماً لهم، وغيرهم يولدون ويموتون دون أن يعلم بهم أحد .

إن التنزّه في حديقة التاريخ، والتوغّل في أعماقه، والتفكّر في أحداثه يعطيك رصيداً إضافياً من العمر كما قال أستاذ الإنسانية أمير المؤمنين عليه السلام وهو يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام :

(أحيّ قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذلّلـهُ بذكر الموت، وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأوّلين، وسر في بلادهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا ديار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لا تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإنّ الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال، وامر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم) (١).

ولقد كان صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه من أولئك الرجال الذين عرفتهم الدنيا، وذكرهم التاريخ لكي يقف الناس على أحوالهم، ويأخذوا من حياتهم دروساً في التميز والتألق ، فليس سهلاً أبداً أن تكون نجماً في سماء الإنسانية ، يذكرك التاريخ، ويتغنى بك الناس على مدى العصور ، وتقاوم النسيان، وتتحدى من كان قبلك ومن جاء بعدك في المسيرة الإنسانية الطويلة والمليئة بالرجال .

صعصعة بن صوحان خطيب العرب ومن أفصحهم، شهد له بذلك أستاذ البلاغة وسيد المتكلمين مولانا أبو الحسن أمير المؤمنين ،كان صعصعة رضوان الله تعالى عليه راسخ اليقين ، قوي الإيمان ، لا يهادن في الحق سريع البديهة ،

---

(١) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة وصيته للإمام الحسن عليه السلام ص٣٨ .

أحضر الناس جواباً بشهادة كل من كتب في البلاغة والأدب، واهتم بسير الرجال ، سهم من سهام علي، سيف من سيوفه ، ثقته ورسوله في الظروف الصعبة، والمواقف التي تحتاج إلى القوة والعلم والمواجهة والحسم، عارف بحق مولاه بشهادة الإمام الصادق عليه السلام ، عالم بشهادة حبر الأمة ابن عباس ، فسلام على صعصعة في الأولين وسلام عليه في الآخرين وأرجو أن يتقبل منّي هذا العمل المتواضع اعترافاً بفضله متقرباً به إلى الله جلّ شأنه وتعالى اسمه .

سلمان رامس

١٠ شوال ١٤٢٧ هـ

صعصعة بن صوحان العبدى

كان صعصعة رضوان الله تعالى عليه، من خطباء أهل الحق، وزعماء رهط الصدق، وعلماء حزب الفلاح، وظرفاء أهل التقوى والصلاح، قد نصر الحق بالجوانح والجوارح، وروج الصدق بالسنان والبنان والبيان، وعارض الباطل مجاهرة، وداحض العدوان بمجادلة، لم يخف في الله لومة لائم، ولم يدحضه عن القيام بالحق تطميع أهل المآثم، ولا تخويف معشر الغي والجرائم، كان لسانه الصدق كسيف الأشتر - رضوان الله عليهما - في تدمير الباطل، واستئصال الملحدين، وكفى في جلالة صعصعة - وآل صوحان عامة - اتفاق علماء المسلمين على إطرائه - وإعظامهم - وحسن الثناء عليه - ومدحهم - مع تفانيهم في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام وبذل ما دقّ وما جلّ في نصرته، مع أنك عليم أنّه لم يسلم من قدح الأمويين شيعي، ولم ينج من بهتان المروانيين موالٍ لأهل البيت عليهم السلام ، ولم يتخلص من بوائق علماء السوء وافترائهم محبّ لعترة النبي عليهم السلام ، فارجع إلى كتب التراجم، وتصفح معاجم الرجال فإنها موشَّحة بتقريضه وتفخيم إخوانه والإشادة بذكرهم، وبالجملة، فلصعصعة

مناقب كثيرة، وترجمته الطويلة مشحونة باللطائف ، وأصداف الحكم والمعارف (١).

وقبل أن نتكلم عن شخصية هذا الرجل الفذ - ونسبر أغوارها، ونكتشف ما يميزها عن غيرها حتى استحقت منا هذه الوقفة، وكان لزاماً علينا أن نتعرف عليها - دعنا نتعرف على معنى اسمه رضي الله عنه نظراً لكونه من الأسماء النادرة وغير المألوفة في زمننا هذا .

الصعصعة : هي الحركة، والاضطراب، وصعصعهم: أي حرّكهم، أو فرّقهم، والزعزعة والصعصعة بمعنى واحد . وصعصعتُ القومَ صعصعةً فتصعصعوا: أي فرّقتهم فتفرّقوا .

قال جرير: (باز يُصَعْصِعُ بالدّهْناء قطاً جُونا) .

وفي الحديث : فتصعصعت الرايات، أي تفرقت ،وقيل: الصعصعة: نبت يستمشى به، وقيل: هو نبت يشرب ماؤه للمشي، وقيل: تصعصع وتضعضع بمعنى واحد، وقيل: تصعصع الرجل: إذا جَبُنَ، والصعصع اسم طائر(٢) .

وقال القعقاع بن عمرو:

(إذا صعصع الدهر الجموع وكبكبا) أي أبادهم وشتتهم (٣) .

---

(١) للشيخ المحمودي ، نهج السعادة ج ٨ ص ٤٦٨ .
(٢) الخليل الفراهيدي ، كتاب العين - بن منظور ، لسان العرب .
(٣) معجم البلدان مادة (الولجة) .

وكلامهم أن تصعصع الرجل بمعنى جبن لا ينافي معنى أن صعصعة الرجل المفرق للجماعات، فالصعصعة معناها الحركة والاضطراب والرجل إذا جبن اضطرب فوقع عليه الفعل، أما صعصعة فهو المفرق للجماعات وقع منه الفعل .

و الظاهر أن اسم صعصعة يعني الرجل القوي المزعزع، والمفرق للجماعات.

أما صوحان: فالصواح هو الجص، قال الشاعر:

جلبنا الخيل من تثليـــث، حتى كأنَّ على مناسجها صُواحا (١)

فشبّه الشاعر عرق الخيل بالصواح، وهو الجص الذي يطلى به الجدار. والصوحان اليابس، ونخلة صوحانة: أي كزّةُ السَّعَف أي يابسة السعف (٢)

---

(١) بن منظور ، لسان العرب .

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط.

صعصعة بن صوحان (اسمه ونسبه)

صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الربعي العبدي، أخوه زيد وسيحان ، أبو عمرو، ويقال أبو طلحة، ويقال أبو عكرمة . (١)

آل صوحان بضم الصاد المهملة، وإسكان الواو قبل الحاء المهملة، والنون بعد الألف . (٢)

وقيل: الهجاس بدل الهجرس، وكأنه تحريف من النساخ، و الربعي نسبة إلى قبيلة ربيعة، و العبدي نسبة إلى عبد القيس، قبيلة من ربيعة وهم زيد بن صوحان، وسيحان، وصعصعة.

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٧- المزي ، تهذيب الكمال، (٢٨٧٦) باب الصاد - طبقات خليفة بن خياط . ذكر صاحب الأغاني (١١، ٣٢١) أن لصعصعة أخاً يسمى عمرو بن صوحان (لم يذكر أحد غيره أن لصعصعة أخاً اسمه عمرو)، والمعروف أن عمرو هو ابن صعصعة.

وذكر البخاري في التاريخ الكبير أن لعكرمة بن صعصعة ولداً اسمه شمر رقم (٢٧٢٤) وكذلك في لسان الميزان لابن حجر ج٣ رقم (٥٤٧) وكذلك تاريخ دمشق لابن عساكر في ترجمة زيد بن صوحان وذكره ابن حبان في الثقات وذكر الصدوق عليه الرحمة رواية عن عمرو بن محمد بن صعصعة (وبذلك يكون لصعصعة ابن اسمه محمد) كما ذكره المهرجاني في مصباح البلاغة والعلامة المجلسي في بحار الأنوار كما ذكر في الانتصار للعاملي وذكر المحمودي في نهج السعادة عمر بن صعصعة والظاهر المقصود به هنا عمرو سابق الذكر . وتذكر أكثر المصادر أن الابن الأكبر لصعصعة هو عمرو فهو (أبو عمرو) وله روايات عن أبيه، انظر كنز العمال .

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، لغارات ج ٢ .

و عبد القيس تلك القبيلة التي ينتمي إليها صعصعة و زيد أبناء صوحان من القبائل التي اشتهرت عند المؤرخين بمتابعتها لأمير المؤمنين علي عليه السلام هو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جذيلة بن أسد بن أكلب ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام (١) .

عبد القيس سادة من سادات العرب عرفوا بولائهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (٢) شاركوا إلى جانبه في حروبه الثلاث ،و كانوا خير عون له عليه السلام ،كانت لهم صولات وجولات في الجمل و صفين و النهروان، فكان أمير المؤمنين دائم الترحّم عليهم ،و من قبل ذلك مدحهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأثنى عليهم، كما سوف نبين عند حديثنا عنهم ،وكيفية إسلامهم، وتجاوبهم مع الرسالة، و اهتمامهم بالدين الجديد، و تفانيهم لنصرة الإسلام، و الوقوف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وهم جماجم العرب .

قالوا : جماجم العرب ثمان اثنتان منها في ربيعة، هي بكر بن وائل وعبد القيس ، وقيل لها جماجم لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها

(١) البغدادي ، سبائك الذهب ص٥٣ . – ابن الأثير الجزري ، اللباب في تهذيب الأنساب.

(٢) إلى جانب هذا الولاء نجد من ينحرف عن القاعدة من هذه القبيلة مثل صحار بن عياش (أو عباس) بن شراحيل بن منقذ العبدي ، من بني عبد القيس : خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان . فلم يكن هواه مع أمير المؤمنين كقومه ولما قتل عثمان قام صحار يطالب بدمه . وشهد (صفين) مع معاوية . وسكن البصرة ، ومات فيها .

دون الانتساب إليها ،فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسمه معروف بموضعه (١)

قال سيبويه : النَّسب إِلى عَبْدِ القيس عَبْدِيٌّ ، وهو من القسم الذي أُضيف فيه إِلى الأَول لأَنهم لو قالوا قيسي ، لالتبس بالمضاف إِلى قَيْس عَيْلانَ ونحوه ، وربما قالوا عَبْقَسِي .

ومن فروعها الشني وقال الجوهري في الصحاح : (وشن حي من عبد القيس وهو شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وفي المثل وافق شن طبقة) . قال بن منظور وقولهم : صادف شَنٌّ طَبَقَه ؛ هما قبيلتان شنٌّ بن أَفْصَى بن عبد القيس وطَبَقٌ حيّ من إِياد ، وكانت شَنّ لا يقام لها فواقعتها طَبَقٌ فانتصفت منها ، فقيل : وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه ، وافقه فاعتنقه ؛ قال الشاعر :

لَقِيَتْ شَناًّ إِيادٌ بالقَنَا طَبَقاً ، وافق شَنٌّ طَبَقَه

وقال السمعاني في الأنساب : (الشَني بفتح الشين المعجمة وكسر النون المشددة، هذه النسبة إلى شن وهو بطن من عبد القيس وهو شن بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار) (٢) . ومن ولد شن بن أفصى بن عبد القيس : هزيز بن شن وهو أول من ثقَّف القنا بالخط ،وإليه تنسب الرماح

---

(١) بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٢ .

(٢) كذلك في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري.

الهزيزية (١) ، وعدى والديل، ومنهم عمرو بن الجعيد بن صبرة بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس، وهو الذي ساق عبد القيس من تهامة إلى البحرين، وكان يقال لـه الأفكل .

و العصري و عصر وهو بطن من عبد القيس وهو عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذيمة ابن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى ابن عبد القيس، ينسب إليه كثير منهم المنذر بن عايذ بن الحارث المعروف بالأشج العصري .

و الشُقري : بضم الشين المعجمة ، وسكون القاف ، وفي آخرها الراء . هذه النسبة إلى شقرة بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، وهو بطن من عبد القيس . (٢)

و المحاربي و محارب بن عمرو : بطن من عبد القيس ، وهم : بنو محارب ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . كانت منازلهم ما دار بهم من قرى البحرين فالقطيف ، ومن قراهم : العرجة ، الرفيلة ، الكثيب ، ذو النار ، المرزى ، نبطاء ، والمطلع ، وكلها في البحرين . (٣)

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس - ابن ماكولا ، إكمال الكمال ج ٧ ص ٤٠٩

(٢) السمعاني ، الأنساب ج ٣ ص ٤٤٤

(٣) الدكتور عمر كحالة ، معجم قبائل العرب - انظر(صفة جزيرة العرب للهمداني . معجم البلدان لياقوت)

ومن بطون عبد القيس حطمة بن محارب، و إليها تنسب الدروع الحطمية ،و في الرواية عندما أراد أمير المؤمنين أن يتزوج من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يكن عنده مال ، قال له الرسول صلى الله عليه وآله : أين درعك الحطمية ؟ (١) بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال له حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع . (٢)

و الصباحي من ولد صباح بن لكيز بن أفصى ابن عبد القيس و النكري بضم النون وسكون الكاف وفي آخرها الراء . هذه النسبة إلى بني نكر ، وهم قوم من عبد القيس ، وهو نكرة بن نكيز بن أقصى بن عبدالقيس .

و النمري نسبة إلى النمر بن قاسط ومنهم الصحابي عمرو بن تغلب النمري ، من النمر بن قاسط العبدي ، من أهل جواثا له صحبة .

و الديلي حيٌّ في عبد القَيْس ينسب إِليهم الدِّيليُّ ، وهما دِيلانِ : أَحدهما الدِّيل بن شَنّ بن أَفْصى بن عبد القيس بن أَفْصى ، والآخر الديل بن عمرو بن وَدِيعةَ بن أَفصى بن عبد القيس ، منهم أَهلُ عُمان (٣) .

و العوقي العوقة من عبد القيس ، والمنتسب إليها : أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العوقي ، يروي عن أبي سعيد الخدري ، وربما قيل فيه : العبدي

---

(١) قيل سميت بذلك لأنها تحطم السيوف.

(٢) العظيم آبادي ، عون المعبود ج ٦ ص ١١٤ – الصالحي الشامي ، سبل الهدى و الرشاد ج ١١ – الشوكاني ، نيل الأوطار ج ٦ – المجلسي ، بحار الأنوار ج ٤٣.

(٣) بن منظور ، لسان العرب .

والعصري . والذي ذكره أبو حاتم بن حبان أنه موضع بالبصرة يشبه أن يكون هذه القبيلة نزلت ذلك الموضع فنسب إليهم ، والعوقة بطن من عبد القيس وهو عوقة بن الديل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .

كانت هذه القبيلة مقرَّبة من أمير المؤمنين عليه السلام وقال في حقهم (عبد القيس خير ربيعة وفي كل ربيعة خير) (١) وكذلك ومدحهم بقوله أنتم درعي ورمحي (٢) وقبل ذلك مدحهم الرسول صلى الله عليه وآله فقال ياهف نفسي على فتيان عبد القيس أما أنهم أسد الله في أرضه . (٣) و غصّت كتب الحديث بتلك الأحاديث و الأخبار التي تروي كيف جاء وفد عبد القيس للرسول صلى الله عليه وآله قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأصحابه وهم جلوس عنده : (سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خيرة أهل المشرق). قال هذه الكلمات يعني بها وفد عبد القيس برئاسة المنذر بن عائد الملقب بالأشجّ. (٤)

---

(١) السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ج ١ ص ٤٥٤

(٢) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة – بن حاتم العاملي ، الدر النظيم – السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ترجمة الأعور الشني نقلاً عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم وردت هذه الكلمات من أمير المؤمنين في بعض المصادر يمدح بها همدان انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي و في تاريخ الطبري و بن الأثير في الكامل و بن كثير في البداية و النهاية قالها لربيعة و همدان معا.

(٣) بن الأثير ، أسد الغابة ج ٤ – الضحاك ، الآحاد والمثاني ج ٣

(٤) كانت الوفادة الأولى اثنى عشر رجلاً . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٥٦٤ ذكرهم وهم طريف بن أبان بن سلمة بن جارية من بني جديلة بن أسد بن ربيعة وعمرو بن شعيث من بني عصر من عبد القيس و جارية بن جابر من بني عصر و همام بن ربيعة من بني عصر وخزيمة بن عبد عمرو من بني عصر وعامر بن عبد قيس من بني عامر بن عصر وكان في الوفد وهو أخو عمرو بن
←

وقال ﷺ ليأتيَنَ ركبٌ من المشركين لم يكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الركاب وأفنوا الزاد ، بصاحبهم علامة اللهم اغفر لعبد القيس أتوني لا يسألوني مالاً هم خير أهل المشرق ، قال فجاؤوا في ثيابهم ورسول الله ﷺ في المسجد فسلموا عليه . (١) و ذكر المتقي الهندي في كنز العمال قوله ﷺ أسلمت عبد القيس طوعاً وأسلم الناس كرهاً ، فبارك الله في عبد القيس . و في رواية أنا حجيج من ظلم عبد القيس. رواه الطبراني في المعجم الكبير .

فإلى هذه القبيلة ينتمي آل صوحان وكان سيحان هو الخطيب قبل صعصعة، وبيده الراية يوم الجمل حتى قتل، فأخذها زيد حتى قتل، فأخذها صعصعة (٢). ذكر البعض أنّ له أخاً اسمه عبد الله، ولقد وصفه صعصعة لابن عباس عندما سأله عن اخوته كما سوف يأتي لاحقاً (٣).

غير أنّ من الملاحظ في الأخبار الواردة أن سيحان وعبد الله لا يذكران معاً، فمن يذكر عبد الله لا يذكر سيحان وبالعكس، وإن كان سيحان أكثر شهرة،

عبد قيس الذي بعثه الأشج وعقبة بن جروة من بني صباح بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس و مطر أخ لعقبة بن جروة من أمه وهو حليف لهم من عنزةو سفيان بن همام من بني ظفر بن ظفر بن محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وابنه عمرو بن سفيان و الحارث بن جندب العبدي و همام بن معاوية بن شبابة بن عامر بن حطمة .

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣١٤ – بن الأثير ، أسد الغابة ج ٤

(٢) بن حجر ، الإصابة ج ٢ ص ٩١٤- بن الأثير ، أسد الغابة، ج٣ ص٢١، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٦، طبقات الكوفيين – المعارف، لابن قتيبة، ص٢١٠ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب ج٣ ص ٤٤.

وأكثر ظهوراً في الروايات، وخاصة في معركة الجمل ، ولذلك لا يستبعد أن يكونا شخصاً واحداً والله أعلم .

وأبوه صوحان من الشخصيات الكبيرة في الجاهلية والإسلام، وهو من سادات العرب وأشرافها، ويتضح ذلك من الخطاب الذي أرسلته السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان، تطلب فيه النصرة يوم الجمل، حيث وصفت صوحان بقولها الموجه إلى زيد: (فإنّ أباك كان رأساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام) (١)، وهذا وحده يكفي للدلالة على مكانة صوحان عند العرب، ومن خلال دراستنا هذه سوف يتبين مدى احترام الناس لآل صوحان، باعتبارهم سادة خطباء فصحاء .

---

(١) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٥ ص٦٦ (يوم الجمل) .

من هو صعصعة بن صوحان ؟

كان صعصعة رضوان الله تعالى عليه مسلماً على عهد الرسول صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولم يلقَه ولم يَره صغر عن ذلك (١). وهو تابعي كبير مخضرم (٢)، ثقة عظيم القدر(٣)، كان سيّداً فصيحاً (٤) خطيباً عاقلاً لسنا ديناً فاضلاً بليغاً قوي النفس، وفي طبقات بن سعد أنه من أصحاب الخطط في الكوفة ، من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (٥) . المختصين به (٦) ممن شهد وصية أمير المؤمنين عليه السلام .

كان عالماً جليل القدر من أفصح سادات العرب ، عرف الحق فاتبعه ومال إلى جانبه ، كما عرف الباطل فاجتنبه ومال عن جانبه ، كان زاهداً عابداً .

---

(١) بن عبد البر ، الاستيعاب ج٢ - بن الأثير ، أسد الغابة، بن حجر ، الإصابة.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب، (٢٩٢٧) - العظيم آبادي ، عون المعبود، ج ١٣ ص ٣٥١ - مستدرك سفينة النجاة، للشاهرودي . وجاء في معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ذكر النوع التاسع والأربعين من معرفة علوم الحديث معرفة الأئمة الثقات المشهورين من التابعين وأتباعهم ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم ثم ذكر من أهل الكوفة صعصعة بن صوحان العبدي .

(٣) وصفه العلامة الحلي بأنه عظيم القدر، انظر رجال العلامة الحلي، ص ٨٩، خلاصة الأقوال، للعلامة الحلي - الحر العاملي وسائل الشيعة ج٣٠ ص٣٩٣ - الشاهرودي ، مستدرك علم رجال الحديث

(٤) وفي عون المعبود قال الحافظ: كان ألحن. أي : أقدر على بيان مقصوده .

(٥) بن الأثير ، أسد الغابة، ج ٣ ص٢١ ، الشهيد الثاني ، الرعاية في علم الرواية .

(٦) الكليني ، الكافي ، باب صدقات النبي وفاطمة والأئمة - وسائل الشيعة، باب الوقوف والصدقات - الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، باب الوقوف والصدقات تاريخ ابن عساكر. رجال السيد الخوئي ج٩ ص١٠٥ .

قال الذهبي : هو أحد شيعة عليّ، أمَّره على بعض الكراديس يوم صفين. وكان شريفاً، مطاعاً، خطيباً، بليغاً، مفوهاً، واجه عثمان بشيء فأبعده إلى الشام. وروى عن عليّ عليه السلام وغيره. وروى عنه: الشعبي، وأبو إسحاق، وابن بريدة، والمنهال بن عمرو (١) .

وثَّقه ابن سعد والنسائي وابن حبان وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر، وقد ذكر الذهبي صعصعة فقال: «ثقة معروف»، ونقل القول بوثاقته عن ابن سعد وعن النسائي(٢)، وذكر العسقلاني صعصعة بن صوحان فقال: له رواية عن عثمان وعليّ، وشهد صفين مع علي عليه السلام وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف.. (٣)

ذكر الجوزجاني صعصعة في الضعفاء، بل وذهب إلى أكثر من ذلك فعدّه من الخوارج، وقد علّق الذهبي على قول الجوزجاني بقوله (لا يصح) أي أنّ الذهبي يعارض الجوزجاني في رأيه الذي ذهب به عن صعصعة، ونحن نقول: أنّ الجوزجاني تخبط كثيراً في هذا الرأي الغريب والذي تفرّد به عن كلّ من كتب عن صعصعة رضوان الله تعالى عليه، حيث أطبق الجميع على أنّه ثقة جليل القدر

---

(١) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام - الذهبي، الكشاف .

(٢) الشيخ الأميني ، الغدير ج ٩ ص ٤٣، المزي ، تهذيب الكمال - الطبقات الكبرى، لابن سعد (طبقات الكوفيين)- الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام- الذهبي ، الكشاف - بن حبان ، الثقات حرف (الصاد) - بن حجر ، تهذيب التهذيب ترجمة صعصعة (٧٣٨) ج ٤ .

(٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال (٣٨٩١)- بن حجر ، الإصابة ج ٢ ص ٩١٤- طبقات ابن سعد- المزي ، تهذيب الكمال، ترجمة صعصعة (٢٨٧٦).

من أهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وخُلّص أتباعه، فكيف يجوز وصفه بأنه من الخوارج .

وابنه صوحان بن صعصعة بن صوحان ممن جاء إلى الإمام زين العابدين عليه السلام بعد واقعة كربلاء واعتذر إليه عن عدم حضوره ومناصرته لأنه كان زَمِناً (في رجليه زمانة) (١) فأجابه الإمام بقبول اعتذاره وحسن الظن فيه وشكر له موقفه وترحم على أبيه (٢) .

وبذلك يمكننا التأكيد بان صعصعة بن صوحان له بن اسمه صوحان كما تقدم في الخبر السابق ، و له ابن آخر اسمه محمد كما جاء رواية الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد قال وممّا رواه عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان قال : حدثني أبي عن أبي المعتمر مسلم بن أوس ، قال : حضرت مجلس علي عليه السلام في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون - كأنه من متهودة اليمن - فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنا نراه وننظر إليه ، فسبح علي عليه السلام ربه وعظمه عز وجل وقال : الحمد لله الذي هو أول بلا بدئ مما ولا باطن فيما ، ولا يزال مهما ولا ممازج مع ما ، ولا خيال وهما ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيتجزأ .... إلى آخر الرواية وسف نذكرها عندما نتحدث عن روايات صعصعة بن صوحان لاحقًا .

---

(١) في رجليه زمانة: عاهة . ابتلاه بالزمانة أي عدم بعض الأعضاء أو تعطيل القوى.

(٢) السيد علي بن طاووس الحلي ، اللهوف في قتلى الطفوف - لابن نما الحلي ، مثير الأحزان ص ١١٣- السيد محسن الأمين ، لواعج الأشجان - الشاهرودي ، مستدرك علم رجال الحديث (باب الصاد)، وهو دليل على أن صعصعة توفي قبل استشهاد الإمام الحسين وسوف نبين ذلك لاحقاً.

و ذكرت المصادر [1] أنه رضي الله عنه يكنى بأبي عمرو، ويقال أبو طلحة، ويقال أبو عكرمة . (٢) كما تقدم و عكرمة هذا ذكره النعماني في كتابه الغيبة ذكر له رواية عن أبيه سوف نذكرها فيما بعد في محلها ، وذكر البخاري في التاريخ الكبير أن لعكرمة بن صعصعة ولداً اسمه شمر رقم (٢٧٢٤) وكذلك في لسان الميزان لابن حجر ج٣ رقم (٥٤٧) وكذلك تاريخ دمشق لابن عساكر في ترجمة زيد بن صوحان وذكره ابن حبان في الثقات و الرازي في الجرح و التعديل .

وفي كتاب الفتوح بن أعثم ج ٧ ، في مسيرة مسلمة بن عبد الله إلى عمورية ، ذكر عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان ، عند حديثه عن نية عبد الملك بن مروان غزو الروم ، قال يا قال واجعل محمد بن الأحنف بن قيس على طلائعك ، وعبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان على جناحك ، واعتمد في حربك على البطال بن عمر فإنه بطل شجاع مقدام شياع .

وفي موضع آخر قال : وتقدم عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان العبدي أمام المسلمين وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن عبد القيس جدي صعصعة ذو البأس والاقدام عند المعمعه

إذا التقى الابطال وسط المعمعه والروم قد سارت إلينا مجمعه

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٧- المزي ، تهذيب الكمال، (٢٨٧٦) باب الصاد – طبقات خليفة بن خياط . ذكر صاحب الأغاني (١١، ٣٢١) أن لصعصعة أخاً يسمى عمرو بن صوحان (لم يذكر أحد غيره أن لصعصعة أخاً اسمه عمرو)، والمعروف أن عمرو هو ابن صعصعة .

(٢) ذكره الشاهرودي في مستدرك علم رجال الحديث ج ٥ .

ومن يخاف الله فالله معه

ثم حمل فقاتل ساعة ورجع مجروحا وفي رجزه جدي صعصعة يدل على أنه ولد أحد أبنائه و الله أعلم .

وذكر المحمودي في نهج السعادة عمر بن صعصعة والظاهر المقصود به هنا عمرو سابق الذكر ، وتذكر أكثر المصادر أن الابن الأكبر لصعصعة هو عمرو فهو (أبو عمرو) وله رواية كما في كنز العمال . عن المنهال عن عمرو ابن صعصعة بن صوحان العبدي عن علي بن أبي طالب قال : نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن ينتفع من الخنزير بشيء .

و بذلك يمكننا حصر أولاد صعصعة بن صوحان المذكورين في المصادر التاريخية المختلفة كالتالي

١- عمرو بن صعصعة بن صوحان
٢- صوحان بن صعصعة بن صوحان
٣- عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان
٤- عكرمة بن صعصعة بن صوحان
٥- طلحة بن صعصعة بن صوحان

يظهر من بعض أحداث التاريخ أن صعصعة عماني، ومنها قول معاوية له (إنّك من شطير عمان ولم تكن في البحرين حين دعا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأهالي البحرين عند وفودهم عليه) ومن قول شبث بن ربعي لأخيه زيد بن صوحان (يا عماني) وذلك في معركة الجمل بعد أن قرأ زيد بن صوحان كتاب عائشة التي أرسلته إليه تطلب منه النصرة وتخذيل الناس عن أمير المؤمنين، فقرأ الكتاب على

الناس ثم قال: أُمرتْ بأمر وأُمرنا بأمر ، أُمرتْ أن تقرّ في بيتها ،وأُمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة.

ثم ذكر الطبري : إنّ زيد من عبد قيس عمان وليس من عبد قيس البحرين (١). وكذلك ذكره ابن قتيبة في المعارف بأنه من أهالي عمان.

غير أنّ كلام معاوية سابق الذكر لا ينفي أنه سكن البحرين، فقوله (حتى أصابتكم دعوة النبيّ) يدل على أنه منهم ثم استثنى معاوية صعصعة من هذه الدعوة في قوله (لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبيّ) وهذا يدل على أنه منهم غير أنه لم يكن في البحرين في ذلك الوقت، والظاهر أنه ترك البحرين ورحل إلى عمان وقت دعاء الرسول صلى الله عليه وآله .

ثم إنّ قول معاوية له وهو يصف بلد صعصعة : (أنتنها نبتاً وأعمقها وادياً) (٢) إنما هي كلمات قالها معاوية لاستثارة صعصعة ولمجرد الذم، كما أنّ تعيير الرجل بمقومات بيئته الجغرافية أمر لا يصمد أمام النقد، فهو ترك شخص صعصعة وصب جام غضبه على منطقته التي ينتسب إليها وقومه الذي ينتسب إليهم ولم يكن معاوية غافلاً عن هذا، فهدفه واضح عندنا فهو يحط من المنطقة التي أولدت صعصعة وأمثال صعصعة لأن عبد القيس سكان المنطقة المذمومة عند معاوية هم أهم أنصار أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن يعتمد عليهم في حروبه، فكان لابد لمعاوية أن يمتلئ قلبه حنقاً وغضباً عليهم، كيف لا يكون كذلك وقد أشرقوه بالريق وحبسوه في المضيق وذادوه عن سنن الطريق حتى لاذ

---

(١) تاريخ الطبري ، حوادث سنة ٣٦هـ (معركة الجمل).

(٢) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٣ هـ - بن الأثير ، الكامل .

منهم بالمصاحف .كما أننا يجب أن نلاحظ التشابه الكبير على طول المنطقة في سواحل الخليج من القطيف حتى عمان من الناحية النباتية، بل إنّ عمان الأفضل لكثرة الأمطار فيها مقارنة بغيرها ولذلك لا يمكن الاعتماد على وصفه للمنطقة لتحديد المكان المقصود تماماً .

بل إن هذا الذم والتهجم الواضح على صعصعة يتناقض تماماً مع الإعجاب الكبير الذي أبداه معاوية بشخصية صعصعة عندما دخل عليه في الشام، وبعد تلك المحاورة الكبيرة بينهما والتي سوف نذكرها فيما بعد، حتى قال معاوية معجباً بشخصية صعصعة: لشيء ما سوّده قومه، وددت واللهِ أني من صلبه، ثم التفت إلى بني أمية فقال: هكذا فلتكن الرجال (١) .

غير أنّ الزركلي ذكر أنّ صعصعة رضوان الله تعالى عليه من مواليد دارين في جزيرة تاروت، وكلّ ما سبق لا ينافي – حسب رأينا – ما ذكره الزركلي أنه تاروتيّ المولد (٢) ، فمن الطبيعي أن يكون من مواليد دارين في جزيرة تاروت ومن ثم سكن عمان في صغره ثم ترك آل صوحان عمان واستقروا في الكوفة، فأصبح من عبد القيس الكوفيين، فهو من الكوفيين أيضاً، ويجوز أن يكون عمانيّ الأصل، ثمّ هاجر آل صوحان من عمان إلى جزيرة تاروت والتي تعتبر مركزاً تجارياً هاماً في الخليج وخاصة في تجارة البخور والمسك، فولد صعصعة فيها،

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ٣٨ - تاريخ دمشق، لابن عساكر وسوف نذكر هذه القصة فيما بعد.

(٢) انظر الأعلام، للزركلي، ج ٣ ص٢٠٥ ، معجم طبقات المتكلمين، ج١ ص٢٥٥،حسب علمنا ومما وصلنا إليه خلال بحثنا لم نجد أحداً غير الزركلي ذكر مكان ولادة صعصعة لا في تاروت ولا في مكان آخر.

وبذلك يمكن التوفيق بين ما جاء في الأخبار أنه عماني وما ذكره الزركلي بأنه من مواليد جزيرة تاروت (١).

والغريب أنّ الكثير ممّن كتب في الرجال لم يهتم بمكان ولادتهم، فكانوا يهتمون بوقت مولدهم لتحديد أنهم أدركوا الرسول ﷺ أو لم يدركوه، وكانوا يهتمون بذكر وقت ومكان وفاتهم، أما صعصعة فقد ذكر الزركلي مكان مولده على غير العادة، فهو مثلاً، لم يذكر مكان ولادة أخيه زيد بن صوحان ولم يهتم بذكر مكان ولادة مالك الأشتر وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم، كما أنّ الزركلي لم يكن متردداً عندما قال: إنه ولد في دارين، أي: تاروت، فلم يقل مثلاً (يقال إنه ولد في دارين) بل ذكرها بكل ثقة ولا توجد أخبار تتضارب مع ما ذكره.

كانت قبيلة ربيعة من أخلص الناس في ولاء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومثلها عبد القيس، فقد كانت متهالكة في ولائه، وكذلك آل صوحان جميعهم كانوا من محبيه ،وممن ناصره في حروبه واستشهدوا بين يديه، وهم سادة عبد القيس وأمراؤهم، وكان لصوحان أربعة أولاد هم: صعصعة وزيد وسيحان وعبد الله، فقتل زيد وسيحان مع عليّ عليه السلام يوم الجمل (٢) .

---

(١) الهجرة السكانية في ذلك العصر أمر معتاد عليه والاتجاه نحو عاصمة الحكم أمر واضح في التاريخ الإسلامي، فالكثير من سكان الكوفة هم ليسوا منها بل ليسوا بعراقيين، فالكثير منهم من الحجاز والبحرين وعمان وغيرها.

(٢) السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة، انظر المراجعات، للسيد شرف الدين، ص ٢٢٣، وقد ذكره باعتباره من رجال الشيعة المشهورين الذين روى عنهم أهل السنة واعتمدوا عليهم لوثاقتهم.

وصعصعة من أشهرهم وأكثرهم ذكراً في التاريخ، اشتهر بالخطابة(١) والفروسية والشجاعة والذكاء وسرعة البديهة والفطنة، متحدث بارع وخطيب مُفوّه، حتى ضُرب به المثل في البلاغة والفصاحة، وهابه الناس، وقد عدّه ابن شهرآشوب من شعراء أهل البيت المقتصدين(٢)، وهو سهم من سهام أمير المؤمنين، وسيف من سيوفه، ورسوله إلى معاوية والخوارج، وأكثر أصحابه معرفة به، وهو عالم بأخبار العرب وهذا أمر لا يخفى على من تتبع حياة هذا الرجل الفذ الذي ابتدأت حياته في جزيرة تاروت وانتهت في جزر البحرين، خاض مع الإمام عليّ حروبه الثلاث .

وهو سيد قومه وخطيبهم (٣)، ولا أدلّ على ذلك أكبر مما رواه العلامة المجلسي عن أمير المؤمنين: « لو ثنى لي الناس الوسادة كما ثنيت لابن صوحان لحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر ما بين السماء والأرض، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر ما بين السماء والأرض، ولحكمت بين أهل الفرقان بالفرقان حتى يزهر ما بين السماء والأرض » (٤).

وعلّق عليه العلامة المجلسي عليه الرحمة وقال: إنّ الظاهر من الحديث أنّ الإمام يقصد لو أنّ لي نفاذ وقبول كابن صوحان ونفوذه بين أصحابه لفعلت

---

(١) قال عنه ابن الأعرابي صعصعة أحد الخطباء، أنظر غريب الحديث، لابن الجوزي، ج١ ص- الصفدي ، الوافي بالوفيات- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري.

(٢) ابن شهرآشوب ، معالم العلماء، - السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة.

(٣) السيد بحر العلوم ، الفوائد الرجالية - السيد علي البروجردي ، طرائف المقال - الشاهرودي ، مستدرك علم رجال الحديث .

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار ج٢٦ ص ١٨٢ - السيد هاشم البحراني ، غاية المرام ، ج ٥.

كذا، أو كان المقصود من كلامه عليه السلام: لو كلّ أصحابي يسألون كابن صوحان، لفعلت كذا، واللهُ أعلم .

وواضح من خلال كتب الحديث كثرة سؤال صعصعة وزيد ابنَيْ صوحان للإمام فهو يمدحهم لذلك .

وعلى كل حال، فهذه الكلمات من أمير المؤمنين جداً مهمة وتحتاج منّا إلى تأمل لمنزلة هذا الرجل العظيم ومكانته بين أصحاب الإمام عليّ عليه السلام ومدى ما يتمتع به من نفوذ بين أصحابه ومكانته العلمية وخاصة إذا قرنا قول أمير المؤمنين والإمام الصادق عليه السلام مع ما قيل في حق صعصعة من قِبل ابن عباس وغيره .

قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام : هذا الخطيب الشحشح.

قال السيد الرضيّ : يريد: الماهر بالخطبة، الماضي فيها، وكلّ ماضٍ في كلام أو سير، فهو شحشح. والشحشح في غير هذا الموضع: البخيل الممسك. قال الزبيدي: قصد أمير المؤمنين بالشحشح صعصعة بن صوحان، والشحشح هو الذي لا يكاد ينقطع في الخطبة وهو فوق الـمُصقِع(١) .

قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها الإمام عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل علي عليه السلام يثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس(٢).

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ج ١٤ - قطب الدين الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٣

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٠٨ - بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٩٧

وقيل: إنّ أمير المؤمنين قال هذه الكلمة لرجل خطب في البصرة عندما تغلب أمير المؤمنين في الجمل(١)، ولم يُسمِّه، وكذلك ابن الأثير وابن منظور وابن سلام لم يذكروا اسم الرجل(٢)، وقيل: قالها لرجل من بني نمير يقال له ابن الأرت(٣) ومما يدلّ على علم هذا الرجل وجليل قدره ما جاء عن النزال بن سبرة ، قال: خطبنا أمير المؤمنين ذات يوم فقال: سلوني قبل أن تفقدوني. قالها ثلاثاً.

فقام إليه صعصعة بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدجال ؟ فقال عليه السلام: اُقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت. واللهِ ما المسؤول عنه بأعلم من السائل ولكن لذلك علامات وأمارات وهنَات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل فإن شئت أنبأتك بها.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: احفظ فإنّ علامة ذلك إذا أمات الناس الصلوات وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرَشا وشيّدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا ... إلى آخر الحديث (٤) . وفي هذا الحديث شهادة كبيرة من الإمام لصعصعة على علمه مع أنه يسأل وذلك لتوعية الناس ونشر المعرفة .

---

(١) الهيثمي ، مجمع الزوائد - مسند أحمد - جار الله الزمخشري ، الفايق في غريب الحديث.

(٢) بن منظور ، لسان العرب - جار الله الزمخشري ، الفايق في غريب الحديث .

(٣) بن عساكر ، تاريخ دمشق .

(٤) الشيخ الصدوق ، تمام الدين و تمام النعمة .

قالوا فى صعصعة

قال معاوية لابن عباس ذات يوم: ميّز لي أصحاب عليّ عليه السلام وابدأ بآل صوحان فإنّهم مخاريق الكلام . قال: أمّا صعصعة فعظيم الشأن عضب اللّسان قائد فرسان قاتل أقران، يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير (١) .

وقال في حقه الإمام الصادق عليه السلام : ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه (٢) .

وعن الأصبغ بن نباتة قال: خرجنا مع أمير المؤمنين حتى انتهينا إلى صعصعة ابن صوحان فإذا هو على فراشه، فلما رأى عليّاً خف له، فقال له علي عليه السلام: لا تتّخذن زيارتنا إياك فخراً على قومك.

قال: لا يا أمير، ولكن ذخراً وأجراً.

فقال له: واللهِ ما كنت إلا خفيف المؤنة كثير المعونة.

فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا أنّك بالله لعليم، وأنّ الله في عينك لعظيم، وأنك في كتاب الله لعليّ حكيم، وأنّك بالمؤمنين رؤوف رحيم (١) .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣: ٣٧ - الشيخ الأميني ، الغدير ج ٩.

(٢) رجال ابن داوود - الشيخ الطوسي ، اختيار معرفة الرجال، ج١ ص٢٨٥ - السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ج٩ ص١٠٦ - رجال العلامة الحلي، ص ٨٩ – العلامة الحلي خلاصة الأقوال .

وقال فيه عمر بن الخطاب: أنت مِنّي وأنا منك. وذلك عندما قام الخليفة عمر بن الخطاب بتقسيم المال الذي بعث به إليه أبو موسى ، وكان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام عمر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها.

فقام صعصعة بن صوحان وهو غلام شاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآناً، أمّا ما أنزل الله به من القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها. فقال: صدقت، أنت مِني

---

(١) الشيخ الطوسي ، الأمالي ، المجلس الثاني عشر - الميرزا النوري ، - الحميري القمي ، قرب الإسناد - رجال الكشي ، ص٦٧ وقيل: إنّ الزيارة كانت لأخيه زيد بن صوحان، انظر بحار الأنوار، ج٤٩، باب معجزاته وغرائب شأنه، وعيون أخبار الرضا، ج٢، باب دلالات الرضا عليه السلام - أخبار القضاة، لمحمد بن خلف بن حيان، المتوفى ٣٠٦ هـ - وفي تاريخ دمشق مثل ذلك، فقال صعصعة : بلى منٌ عليَ من الله أن عادني أهل بيت نبيي في مرضي. (مختصر تاريخ دمشق، ج ١١ ص ٨٦)، وفي نوادر المعجزات، لمحمد بن جرير الطبري، ص ٥٧ رواية أخرى أن الإمام نظر إلى فهر في وسط داره، فقال لأحد أصحابه: ناولنيه . فأخذه منه وأداره في كفه، فإذا به سفرجلة رطبة فدفعها إلى أحد أصحابه وقال: قطعها قطعاً وادفع إلى كلّ واحد منّا قطعة، وادفع إلى صعصعة قطعة، وإليّ قطعة. ففعل ذلك، فأدار مولانا عليه السلامالقطعة من السفرجلة في كفه، فإذا بها تفاحة، فدفعها إلى ذلك الرجل وقال له: اقطعها وادفع إلى كلّ واحد قطعة، وإلى صعصعة [قطعة] وإليّ قطعة . ففعل ذلك، فأدار مولانا علي قطعة التفاحة في كفه فإذا هي حجر فهر . فرمى به إلى وسط الدار، فأكل صعصعة قطعتين واستوى جالساً وقال: شفيتني وزدت في إيماني وإيمان أصحابك، صلوات الله عليك يا أمير المؤمنين . وفي رجال الكشي ص ٥٨٨ عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: كنت عند الرضا عليه السلام : فأمسيت عنده فقلت انصرف. فقال :لي لا تنصرف فقد أمسيت ، قال: فأقمت عنده فقال لجاريته: هاتي مضربتي ووسادتي فافرشي لأحمد في ذلك البيت. قال: فلما صرت في البيت دخلني شيء فجعل يخطر ببالي مَن مثلي في بيت وليّ الله وعلى مهاده. فناداني: يا أحمد إن أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصعة بن صوحان فقال: يا صعصعة لا تجعل عيادتي إياك فخراً على قومك وتواضع لله يرفعك الله .

وأنا منك. فقسمه بين المسلمين(١). وفي هذه الرواية دلالة على نبوغه وقوة شخصيته وجرأته .

وعندما سأل عبد الملك بن مروان جلساءه: أخبروني عن حيّ من أحياء العرب فيهم أشد الناس، وأسخى الناس، وأطوع الناس في قومه، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً وأخطب الناس، فقالوا قريشاً فقال: لا .

قالوا : إذاً هي حمير .

قال :لا . قالوا: فهي مضر .

قال :لا .

فقال مصقلة بن رقبة العبدي: فهي إذاً في ربيعة . قال: نعم .

فقالوا: ما نعرف هذا في عبد القيس إلا أخبرتنا به يا أمير. فقال: نعم، أمّا أشدّ الناس، فحكيم بن جبلة، وأسخى الناس، عبد الله بن سوار (٢)، وأطوع الناس، الجارود بن بشر بن العلاء، وأحلم الناس، الأشج العبدي، وأمّا أحضرهم جواباً، فصعصعة بن صوحان (٣) .

وعندما قيل للشعبي: مالك تعيب أصحاب عليّ وإنما علمك عنهم.

قال: عمّن ؟.

---

(١) بن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢ ص ٧١٧ - بن الأثير ، أسد الغابة، ج ٣ ص ٢١ - الشيخ الأميني ، الغدير ج ٩ ص ٤٣ .

(٢) و يذكره البعض على أنه عبد الله بن سوار العبدي و ليس سواد كما في شرح نهج البلاغة ج ١٨ .

(٣) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج٣ ص ٢٩٧ - السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة، ج ٧ص٣٨٨.

فقيل له: عن الحارث وصعصعة.

قال: أمّا صعصعة فكان خطيباً تعلمت منه الخطب، وأمّا الحارث فكان حاسباً تعلمت منه الحساب(١) .

ضُرب بصعصعة المثل في الخطابة والبلاغة حتى أنه لما سئل عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان (٢) : ما أنت قائلٌ لربِّك وقد حمَلْتَ رأس مصعبِ بن الزُّبير إلى عبد الملك بن مروان؟ قال: أُسكُت فأنت يوم القيامة أخطبُ من صعصعة بن صوحان إذا تكلّمت الخوارج . وفي الأغاني قال: إن تركتُ احتج رجوتُ أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان .

يقول الجاحظ: فما ظنُّكَ ببلاغةِ رجلٍ، عبيدُ الله بن زيادٍ يضرِب به المثل ؟! وإنما أردنا بهذا الحديث خاصّةً الدلالةَ على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب (٣) .

وفي نهج البلاغة قال: إن تركت احتج كنت أخطب من صعصعة بن صوحان! (٤) فكان من خطباء عصره بل كان من أخطب الناس(٥) .

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال (ترجمة رشيد الهجري) . انظر أيضًا الذهبي في سير أعلام النبلاء - تهذيب التهذيب، لابن حجر (٧٣٨).

(٢) هو عبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي أو التميمي العياشي، وكان أبو زياد خطيباً . انظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (مقتل مصعب بن الزبير).

(٣) وهذا دليل واضح على شهرة صعصعة بين العرب في البلاغة والخطابة . انظر البيان والتبيين، للجاحظ، ج١ ص ١٩٥.

(٤) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٢١٨.

(٥) بن النديم ، الفهرست .

و لقد كان لصعصعة مواقف كثيرة مع معاوية سجلها التاريخ تدل على تفوّقه في الفصاحة والبلاغة والخطابة وسرعة البديهة وقوة الشخصية (١)، وله أخبار مع ابن عباس رضوان الله تعالى عليه وعقيل بن أبي طالب، تعطي صورة واضحة عن شخصية هذا الرجل المتميزة، سنوردها إن شاء الله تعالى .

(١) ابن قتيبة ، المعارف ص٢١٠.

صعصعة والمعارضة

في عهد عثمان بن عفان دخلت الدولة الإسلامية في مرحلة خطرة ، أدت في النهاية الى انفجار الوضع، وأصبح الأمر خارج مجال السيطرة بعد أن ثار الناس وكثر المعارضون لسياسة الخليفة، وانتهى الأمر بقتل الخليفة في بيته .

و لم يأتي هذا من فراغ، مع وجود صحابة كبار مشهود لهم بالورع والتقوى، ولم يكونوا حديثي السنّ لكي تلصق بهم تهمة الطيش وعدم التروي وقصور الرؤية، ولم يكونوا حديثي عهد بالإسلام، لكي يتقوَّل عليهم الناس بأقاويل مختلفة أمثال أمير المؤمنين علي عليه السلام وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وغيرهم، ولم تكن صدفة أنّ هؤلاء الثلاثة وهم من أكابر الصحابة وأجلّهم باتفاق المسلمين بالذات تعرضوا الى ألوان مختلفة من المضايقات (١) فقد أُبعد أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إلى الربذة، حتى توفي فيها وحيداً بعد أن دار بينه وعثمان حوار طويل فيما يتعلق بالتصرف في بيت المال، حتى غضب منه عثمان بن عفان وقال له: ما أكثر أذاك لي ! غيّب وجهك عنّي فقد آذيتنا . فخرج إلى الشام فاشتكى منه معاوية في الشام وكتب الى عثمان: أنّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فأمره أن يحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به ، حتى تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد يموت ، ثم دخل على عثمان بن عفان ودارت بينهما محاورة أغضبت منه عثمان، فقال له: عثمان وارِ عني وجهك .

فقال: أسيرُ إلى مكة . قال: لا والله .

---

(١) الشيخ الأميني ، الغدير ج٩ ص ٣٢ .

قال: فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت !!!

قال: إي والله . قال: فإلى الشام . قال: لا والله .

قال: البصرة ! قال: لا والله ، فاختر غير هذه البلدان .

قال أبو ذر: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ،ولو تركتني في دار هجرتي ما أرت شيئا من البلدان ،فسيرني حيث شئت من البلاد ،قال: فإني مُسيّرك إلى الربذة . قال: الله أكبر ، صدق رسول الله قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ(١) .

قال عثمان: وما قال لك ؟ قال: أخبرني بأني أُمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلما طلع عن المدينة ومروان يُسيّره عنها إذ طلع عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام و معه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر. فاعترض

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٦٧ - الشيخ الأميني ، الغدير ج٨ وفي مسند الإمام أحمد «أنّ أبا ذر الغفاري كان يخدم رسول الله ﷺ فإذا فرغ من خدمته أَوى إلى المسجد فكان هو بيته يضطجع فيه، فدخل رسول الله ﷺ المسجد ليلة فوجد أبا ذر نائماً منجدلاً في المسجد، فنكته رسول الله ﷺ برجله حتى استوى جالساً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أراك نائماً؟ قال أبو ذر: يا رسول الله فأين أنام؟ هل لي من بيت غيره. فجلس إليه رسول الله ﷺ، فقال له: كيف إذا أخرجوك منه؟ قال: إذاً ألحق بالشام، فإنّ الشام أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء، فأكون رجلاً من أهلها. قال له: كيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟ قال: إذاً أرجع إليه فيكون هو بيتي ومنزلي. قال له: كيف أنت إذا أخرجوك منه الثانية؟ قال: إذاً آخذ سيفي فأقاتل عني حتى أموت. قال: فكشر إليه رسول الله ﷺ فأثبته بيده، وقال: أدلّك على خير من ذلك؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يا نبي الله. قال: تنقاد لهم حيث قادوك وتنساق لهم حيث ساقوك حتى تلقاني وأنت على ذلك». مسند الإمام أحمد حديث أبي ذر (٢١٦١٦)، مجمع الزوائد، للهيثمي، سير أعلام النبلاء.

مروان فقال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعّوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك . فحمل عليه علي ابن أبي طالب بالسوط بين أذني راحلته وقال: تنحَّ نحّاك الله إلى النار. ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف، فلما أرادا الانصراف بكى أبو ذر وقال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن ! وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ. فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين ! من يعذرني من عليّ، ردَّ رسولي عما وجّهته له وفعل كذا، والله لنعطينه حقّه . فلما رجع عليّ استقبله الناس فقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر . فقال عليّ: غضب الخيل على اللُّجُم (١) .

إنّها من أعظم المهازل في التاريخ أن يكون طريد الأمس أمير اليوم ويكون كبار الصحابة ومن اجتمعت الأمة على احترامهم وتوقيرهم مشردين في الفيافي والقفار يموتون وحيدين .

وضُرب عمار بن ياسر حتى أغمي عليه، وضرب عبد الله بن مسعود وذلك بمرأى ومسمع من المسلمين، وهو أمر يضعف موقف الخليفة ويهيج الناس ويغضب الأمة وقد لامه طلحة و الزبير على ذلك . (٢)

إلى جانب ذلك نجد الخليفة يقرب الحكم بن أبي العاص وابنه مروان (الوزغ ابن الوزغ) وهو من لعنه الله ورسوله وطرده الرسول ﷺ من المدينة، ويولّي رجلاً شهد عليه القرآن بالفسق في أكثر من موضع ونعني به الوليد بن

---

(١) الشيخ الأميني ، الغدير ج ٨، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) بن قتيبة ، الإمامة و السياسة - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ٢ .

عقبة(١)، في قوله تعالى ﴿ إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا... ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً .. ﴾ وهو من صلّى بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثمّ التفت إليهم وقال: هل أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب، فقال له عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم .

وكان سبب إمارته على الكوفة أنه كان جالساً مع عثمان بن عفان على سريره فدخل الحكم بن أبي العاص وهو عمّ عثمان فأومأ عثمان الى الوليد لفسح المجال له على السرير ولم يكن يسع إلا واحداً فلمّا خرج الحكم، قال الوليد – وهو أخو عثمان لأمه – : والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمّك على ابن أمّك . فقال عثمان: إنّ الحكم شيخ قريش فما البيتان؟ فقال(٢):

رأيتُ لعمّ المرء زُلفى قرابة	دوينّ أخيه حدثاً لم يكن قِدما
فأمّلتُ عمراً أن يشب وخالداً	لكي يدعواني يومَ نائبةٍ عمّـا

يعني عمر وخالد ابني عثمان، فرقَّ له عثمان وقال: قد ولّيتك الكوفة فاخرج إليها. فلما قدمها وكان عليها سعد بن أبي وقاص، قال له سعد: واللهِ ما

(١) انظر تفسير الآية السادسة من الحجرات، في مجمع البيان ، للطبرسي، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، وتفسير القرطبي ، السيوطي ، الدر المنثور ١٨٢، تفسير الجلالين و تفسير زاد المسير، لابن الجوزي، ، انظر (ترجمة الوليد بن عقبة) في تاريخ دمشق لابن عساكر و الاستيعاب لابن عبد البر و غيرها الكثير من المصادر .

(٢) الجوهري المتوفي ٣٢٣هـ ، السقيفة وفدك – أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج ٥ – بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١٧ .

أدري كِسْتَ بعدنا أم حمقنا بعدك ! فقال الوليد: لا تجزع أبا إسحاق ، فإنّ الملك يتغذّاه قوم ويتعشّاه آخرون. فقال سعد: أراكم واللهِ ستجعلونه ملكاً (١) .

ويكفي هذا الرجل (نعني الوليد بن عقبة) ما رواه ابن عساكر في تاريخه للدلالة على قبحه ووقاحته وفسقه، قال ابن عساكر: إنّ امرأة الوليد بن عقبة أتت الرسول ﷺ تشتكي الوليد، فقالت: يا رسول الله، إنّ الوليد يضربني ، فقال لها: قولي له إنّ الرسول قد أجارني . فذهبت فلم تلبث إلاّ قليلاً حتى رجعت فقالت: يا رسول الله، ما زادني إلا ضرباً ، فأخذ الرسول ﷺ هذبة من ثوبه فدفعها إليها فقال: قولي له إنّ رسول الله قد أجارني . فذهبت فلم تلبث إلاّ يسيراً حتى رجعت فقالت: يا رسول الله، ما زادني إلا ضرباً . فرفع الرسول ﷺ يديه وقال: (اللهم عليك بالوليد أثِمَ بي مرتين) (٢).

ولم يكن غير الوليد بأفضل حال منه بل أصبح الناس يضجون من الولاة فكيف ترضى الصحابة أن يولّى عليهم أمثال هؤلاء ممن عرف بالفسق وتجاهر به ولم يتورع عن المنكر وكان تنصيبه على المسلمين لقرابته من الخليفة .

ومن هنا أصبح الناس يتذمرون من الوضع القائم، ولم يكن صعصعة بن صوحان إلاّ في قلب الحدث، فهذا هو مع جماعة من أصحابه يرفضون الخلل الحاصل في الأمة الاسلامية ويعلنون معارضتهم ورفضهم لبعض الولاة وسياسة الخليفة حتى رحل من الكوفة إلى المدينة، ومعه أخوه زيد بن صوحان، والأشتر

---

(١) و(كست) أي أصبحت كيّساً عاقلاً.

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق، (ترجمة الوليد بن عقبة) ، بحار الأنوار، ج٣١ ، الجوهري ، السقيفة وفدك ، مسند أبي يعلى الموصلي المتوفى ٣٠٧ هـ، السيد المرعشي ، شرح إحقاق الحق،.

النخعي(١)، ويزيد بن مكفف، وثابت بن قيس، وكميل بن زياد(٢)، والحارث الأعور، وجندب بن زهير، وأصفر بن قيس، يسألون عثمان عزل سعيد بن العاص عنهم. فرحل سعد أيضاً إلى عثمان فوافقهم عنده، فأبى عثمان أن يعزله، فخرج الأشتر من ليلته في نفر، فسار عشراً إلى الكوفة واستولى عليها وصعد المنبر فقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن السواد بستان لأغيلمة(٣) من قريش، والسواد مساقط رؤوسكم ومراكز رماحكم، فمن كان يرى الله عليه نزل العذيب. فجهّز الأشتر إليه ألف فارس مع يزيد بن قيس الأرحبي، وعبد الله بن كنانة العبدي، وقال: سيروا وأزعجاه وألحقاه بصاحبه، فإن أبى فاضربا عنقه. فأتياه، فلما رأى منهما الجد رجع.

وصعد الأشتر منبر الكوفة وقال: يا أهل الكوفة ما غضبت إلّا لله ولكم، وقد ولّيت أبا موسى الأشعري صلاتكم، وحذيفة بن اليمان فيئكم. ثم نزل وقال: يا أبا موسى اصعد. فقال: ما كنت لأفعل، ولكن هلمّوا فبايعوا لأمير

---

(١) مالك بن الحارث الأشتر النخعي: من أصحاب عليّ عليه السلام رجال الشيخ. وعدّه البرقي في أصحاب عليّ عليه السلام من اليمن، قائلاً: " مالك بن الحارث الأشتر النخعي " . وعدّه ابن شهرآشوب في المناقب من وجوه الصحابة وخيار التابعين . و الأشتر من التابعين الكبار، ورؤسائهم وزهادهم . انظر السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ١٥ فال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الأشتر ملك العرب، مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين، وابنه إبراهيم بن الأشتر، أحد الأبطال، كأبيه كان شيعياً فاضلاً.

(٢) كميل بن زياد النخعي عدّه الشيخ في أصحاب عليّ عليه السلام وفي أصحاب الحسن عليه السلام في الاختصاص للشيخ المفيد من السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام عند ذكر السابقين المقربين . و الأصبغ بن نباتة من ثقات أمير المؤمنين عليه السلام . وكذلك ابن داود في رجاله. انظر أيضاً السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ج ١٥ .

(٣) غلمان، وأغيلمة تصغير له.

المؤمنين وجددوا البيعة في رقابكم. فأجابه الناس ،وكتب إلى عثمان بما صنع، فأعجب عثمان، فقال عتبة بن الوعل شاعر الكوفة:

تصدّقْ علينـا يا ابـنَ عـفّـانَ واحـتـسِـبْ وأمِّرْ عـلـينا الأشعـريَّ لياليا

فقال عثمان: نعم وشهوراً وسنين إن عشت. وكان الذي صنع أهل الكوفة بسعيد أول وهن دخل على عثمان حين اجترئ عليه (١).

وكان ما كان مما ذكرناه من أمر الأشتر وأمير الكوفة بعد أن وقعت مشاجرة (٢) بين صعصعة ومن كان معه من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام ومنهم مالك الأشتر وكميل بن زياد مع خنيس بن فلان وعبد الرحمن بن خنيس، بحضور سعيد بن العاص، وكان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الإمام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمتسمتون، فكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوماً فدخلوا عليه، فبينما هم جلوس يتحدثون فقال حبيش، وقيل(خنيش) بن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد بن العاص إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أنّ لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث: والله لوددت أنّ هذا الملطاط لك (عنىٰ ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة) فقالوا: فضّ الله فاك ! والله لقد هممنا بك. فقال خنيش: غلام فلا تجازوه. فقالوا: يتمنىٰ له من سوادنا ! قال: ويتمنا لكم أضعافه . قالوا: لا يتمنىٰ

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج٣ - تاريخ ابن عساكر.
(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص ٦٣٤ - انظر الكامل، لابن الأثير، ج٣ ص ٣١ .

له ولا لنا . قال: ما هذا بكم ! قالوا: أنت والله أمرته بهذا. فقام إليه الأشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير بن ضابئ ، فأخذوه، فذهب أبوه ليمنعهم فأخذوه فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً ، وسمع بذلك بنو أسد فجاءوا وفيهم طليحة، فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل فعاذوا بسعيد وقالوا: أقلنا وخلّصنا . فخرج سعيد إلى الناس فقال: يا أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية وقعدوا وعادوا في حديثهم فتراجعوا فساءهم وردّهم ، وأفاق الرجلان، فقال: أبكما حياة؟ قالا: قتلتنا غاشيتك قال لا يغشوني والله أبداً.

وكان من نتائج هذه المشاجرة أن كتب(١) بعض أهل الكوفة إلى عثمان وكان ذلك سنة ٣٣ هـ وأشاروا عليه بإخراج صعصعة بن صوحان وأصحابه من الكوفة، وكتب عثمان إلى معاوية (إنّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خُلقوا للفتنة ، فرعّهم (٢) وقم عليهم).

---

(١) كتب سعيد بن العاص إلى عثمان كتاباً قال فيه: إنّ رهطاً من أهل الكوفة ـ وسمّاهم بأسمائهم ــ يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا.
وقد قيل: إنّ سعيداً قال يوماً: إنما هذا السواد بستان قريش. فقال له الأشتر: السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك، وخاض القوم في ذلك فأغلظ لهم عبد الرحمن الأزدي صاحب شرطته، فوثبوا عليه وضربوه حتى غشي عليه. فمنع سعيد بعدها السمر عنده، فاجتمعوا في مجالسهم يؤلّبون الناس على سعيد (ابن خلدون، ج ٢ ص ٥٦٣) ، المختصر في تاريخ البشر، لأبي الفداء.
(٢) فعل أمر بمعنى فروعهم .

صعصعة و معاوية

فلمّا قدموا على معاوية (١)، وكانوا: الأشتر، ومالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان العبدي، وكميل بن زياد، وغيرهم، أخذ يكلمهم وينصحهم ويفتخر في كلامه بقريش وأبيه أبي سفيان، فدارت بينه وبين صعصعة محاورة ومجادلة، كان له صعصعة بالمرصاد حيث كان هو المتحدث الرسمي عن القوم، فلما جمعهم معاوية قال لهم: إنكم قوم من العرب ذوو أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنكم ذممتم قريشاً، ونقمتم على الولاة منها، ولولا قريش لكنتم أذلة، إنّ أئمتكم لكم جُنّة فلا تفرّقوا عن جُنّتكم، إن أئمتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب، والله لتنتهين أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونوا شركاءَهم فيما جررتم عليه الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صعصعة بن صوحان: أمّا قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية، وإنّ غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج١٢ ص ١٣٤٣ .

ويُروى أن صعصعة قال : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا وأمّا ما ذكرت من الجُنّة فإنّ الجُنة إذا اُخترُقت خُلص إلينا (١).

فقال له معاوية: إنك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن، وعلمت أنّ الذي أغراكم قلّة العقول، أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكّروني الجاهلية، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم، افقهوا عني ولا أظنكم تفقهون: إنّ قريشاً لم تعز في الجاهلية ولا في الإسلام إلّا بالله وحده، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّها ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمحضهم أنساباً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس تأكل بعضهم بعضاً إلا بالله، فبوأهم حرماً آمناً يُتخطّف الناس من حولهم، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً ؟ إلّا وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم إلّا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلّا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً، وكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصح الأمر إلّا بهم، وقد كان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ أُفٍّ لك ولأصحابك.

ثمّ أخذ معاوية يصب غضبه على صعصعة ويخرج ما به من حقد على هذا الرجل، والسبب معروف وهو شدّة ولائه لأمير المؤمنين واعتراضه على الأوضاع في تلك الفترة الزمنية .

---

(١) تاريخ الطبري - تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٥٦٣ .

فقال مخاطباً صعصعة: أمّا أنت يا صعصعة ! فإنّ قريتك شرّ القرى، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وألأمها جيراناً، وأعرفها بالشرّ، لم يسكنها شريف قط، ولا وضيع إلّا سُبّ بها ، وكانت عليه هجنة ، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً ، وألأمهم أصهاراً ، نزاع الأمم وجيران الخط وفعلة فارس(١)، حتى أصابتكم دعوة النبي(٢)ﷺ ونكبتك دعوته(٣)، وأنت نزيع شطير في عمان(٤) لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبيﷺ، وأنت شرّ قومك، أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس ،وحملك على الأمم التي كانت عليك، أقبلت تبغي دين الله عوجاً، وتنزع إلى اللئامة والذلة ؟ ولا يضع ذلك قريشاً ولا يضرهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنّ الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشرّ من بين أمتكم فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم . وإنكم لا تدركون بالشرّ أمراً إلّا فتح عليكم شرّ منه وأخزى(٥).

ثم أتاهم فقال لهم: قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضره، ولستم برجال منفعة ولا مضرة، فإنّ أردتم النجاة فألزموا

---

(١) يشير إلى تبعية المنطقة السياسية، لفارس .

(٢) يشير لدعاء الرسول ﷺ إلى أهل البحرين (وفد عبد القيس) حيث قال: اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين).

(٣) أي: لا تشملك دعوة الرسول ﷺ لأنك كنت في عمان.

(٤) الظاهر أن صعصعة كان من النازحين إلى عمان بعد أن كان مولده في تاروت ثم انتقل إلى الكوفة ولازم أمير المؤمنين.

(٥) تاريخ الطبري أحداث سنة ٣٣ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج٣ ص١٤١.

جماعتكم ولا تُبطِرنَّكم النعمة، فإنّ البطر لا يجرّ خيراً، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم(١) .

هكذا أصبح أصحاب أمير المؤمنين الذين عُرفوا بالاستقامة ورجاحة العقل وبشهادة الجميع حتى معاوية نفسه، وهم من عُرف بالتقوى، أمثال عمار بن ياسر وزيد بن صوحان وغيرهما، أصبح هؤلاء غوغائيين أعمتهم النعمة كما يدّعي معاوية، والسبب أنهم اعترضوا على تصرفات الولاة ولم يسكتوا عن الظلم كما فعل أبو ذر رضي الله تعالى عنه.

وكان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات ومما قال لهم معاوية: إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أبا سفيان أكرمها وابنه أكرمها إلّا ما جعل الله لنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فإنه انتجبه وأكرمه، ولو أنّ أبا سفيان ولد الناس كلهم لكانوا حلماء .

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولدهم خير من أبي سفيان، مَن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيّس والأحمق(٢) .

إنها سرعة البديهة وطلاقة اللسان وقوة الجواب والشجاعة مع إقناع الخصم وبكل سهولة . هكذا كان صعصعة بن صوحان شوكة في حلق أمير الشام معاوية ينغص عليه شعوره بالزهو والغرور ويلقمه الحجر تلو الحجر

---

(١) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٣٩٦.

(٢) انظر حوادث سنة ٣٣ هـ في البداية والنهاية ج٨ ص ٧١ - تاريخ الطبري - بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٣٩٧.

عندما يبدأ بالفخر بنسبه وحسبه، حتى أصبح وجوده في الشام لا يطاق بل يأتي بنتائج عكسية لا يحمد عقباها ولا يقبلها أمير الشام والخليفة . فليس من السهل أن تمرّر كلاماً لا دليل عليه وتخادع الناس، وفي المجلس أمثال صعصعة بن صوحان في بلاغته وحضور جوابه .

وقد جرى بين معاوية والأشتر قول حتى تغالظا (١) فحبسه معاوية، فقام عمرو بن زرارة وقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فحبس عمراً، فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية، ثم سكتوا. فقال لهم معاوية: ما لكم لا تتكلمون؟ فقال زيد بن صوحان: وما يصنع الكلام، إن كنّا ظالمين فنحن نتوب، وإن كنّا مظلومين فنحن نسأل الله العافية، (و هذا يدل على وفور عقله حيثُ اقتدى بالآية الكريمة ﴿ وإنّا أو إيَّاكُم لَعَلَىٰ هُدىً أو في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ (٢) .

ولا يريد منه معاوية أكثر من ذلك، فقال له معاوية: يا أبا عائشة، أنت رجل صدق وأذن له باللحاق بالكوفة. وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد، فانّي قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لِما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره وكُفّ الأذى عنه، وأقبل إليه بوجهك وودّك، فإنّه قد أعطاني موثقاً لا نرى منه مكروها. فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج مَن حبس ففعل(٣). والحقيقة إنّ معاوية لم يأذن له لفضله وحسن هديه فقط، بل ليكتفي أمره وشفّعه في المحبوسين لذلك، فرأى أنّ إطلاقهم

(١) الشيخ الأميني ، الغدير ج ٩ ص ٣٢.
(٢) آية ٢٤ سورة سبأ.
(٣) مختصر تاريخ دمشق، ج٩ ص ١٤٣ .

بشفاعته خير من إطلاقهم بدونها، ولا غرض له في طول حبسهم، فأطلقهم بدون استشارة الخليفة (١) .

ومن المجالس التي دارت بينهم: إن معاوية قال لهم: أيها القوم ردوا خيراً واسكنوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه و أطيعوني .

فقال له صعصعة: لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إنّ أول كلام ابتدأتُ به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا .

فقال صعصعة: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فقال: إن كنتُ فعلتُ فإني الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقروا أئمتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة: إذا كنت تبت فإنّا نأمرك أن تعتزل أمرك، فإنّ في المسلمين مَن هو أحقّ به منك مِمّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، وهو أحسن قدما في الإسلام منك (٢) .

فقال معاوية: إنّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منّي، لكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه منّي، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى منّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولغيري، ولا حدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ

---

(١) السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ج٧.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص ٦٣٨.

فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلّا وهو خير، فمهلاً، فإنّ في دون ما أنتم فيه، ما يأمر فيه الشيطان وينهى، ولعمري لو كانت الأمور تقضي على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً وليلة، فعودوا الخير وقولوه . فقالوا: لست لذلك أهلاً .

فقال: أما والله، إنّ لله لسطوات ونقمات وإني لخائف عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل .

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال: مَه، إنّ هذه ليست بأرض الكوفة واللهِ لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم، ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً. ثمّ قام من عندهم فقال: واللهِ لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت .

ثم كتب إلى عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: يا أمير المؤمنين ! فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يُملون عليهم، ويأتون الناس، زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس(١)، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة،

---

(١) واضح من هذه الكلمة أنهم رضي الله عنهم كانوا يناقشون الناس في الشام بالدليل القرآني وهو الأمر الذي يخشاه معاوية من أمثال هؤلاء الفقهاء.

ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم(١) وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم والسلام(٢) .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه، فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا. وكتب سعيد إلى عثمان: يضجّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه: أما بعد: فإني قد سيّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شراً، والسلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: أللهم إنه أسوأنا نظراً للرعية، وأعملنا فيهم بالمعصية، فعجل له النقمة (٣).

ثم خرج القوم (صعصعة وأصحابه) إلى حمص، فعلمَ بهم عبد الرحمن بن خالد فجمعهم بعد أن أنزلهم أياماً وفرض لهم طعاماً ثم أخذ يوبّخهم توبيخاً شديداً (٤)، فقال لهم: يا آلة الشيطان ! لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع

---

(١) استخدم معاوية كلمة يستخدمها الطواغيت إذا هزموا، أمثال فرعون (إنه السحر) وكذلك الكثير في أيامنا هذه إذا ضايقهم الدليل وغلبهم الحق قالوا (إنه السحر).

(٢) لاحظ الخوف الكبير من الدور الإعلامي الذي كان صعصعة وأصحابه يقومون به لتوعية المجتمع . الطبري، ج٢ ص ٦٣٨ .

(٣) تاريخ الطبري - الشيخ الأميني ، الغدير - السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣٦ - سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل .

الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ في بساط ضلالكم وغيّكم، جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم، يا معشر مَن لا أدري أعرب هم أم عجم، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الردّة(١)، والله يـا ابن صوحان ! لأطيرنّ بك طيرة بعيدة الـمَهوى إن بلغني أنّ أحداً مِمّن معي دقّ أنفك فأقنعت رأسك(٢). قال: فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة: يا ابن الخطيئة ! إنّ مَن لم يصلحه الخير أصلحه الشرّ، مالك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله. فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال: تاب الله عليكم . فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردّهم إلى الكوفة (٣).

إنّ هذه الموادعة من صعصعة وهو من عُرِف بالحزم والشدة وسرعة الردّ على مَن هو أشدّ بأساً وأكثر قوة وسلطاناً من عبد الرحمن بن خالد الذي لا يكاد يذكر في التاريخ، هو أمر لا ينسجم جملة وتفصيلاً مع ما عرف عن صعصعة والشخصيات التي معه، ويتناقض البتة مع كل ما ذكر في هذه الحادثة مما يجعلنا نضع علامات استفهام كثيرة وكبيرة الحجم على هذه الرواية، فمَن يقف مواقف صعصعة ومَن يدرس شخصية هذا الرجل الصلب لا يصدق هذه الأكاذيب

---

(١) لقد فعل أبوه في حروب الردّة فعلاً أغضب فيه الخليفة عمر بن الخطاب حتى أشار على أبي بكر بعزله ورجمه. والحادثة مشهورة ونقصد بها هنا قتل مالك بن نويرة، والدخول بزوجته . يذكر ابن الأثير والطبري أنّ أوّل كتاب كتبه عمر بعد توليه الخلافة هو كتاب وجّهه إلى أبي عبيدة بن الجراح بتوليه جند خالد وعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش لأنه كان عليه ساخطاً في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة. راجع الحادثة في كتب التاريخ.

(٢) اقنعت رأسك: أي رفعتها.

(٣) أحداث سنة ٣٣ هـ في تاريخ الطبري و الكامل لابن الأثير .

الملفقة والمفضوحة، فالكثير من الروايات في التاريخ من السذاجة أن تتقبلها دون تمحيص وتفكّر، فالكثير منها يضعه البعض ليرفع من مقام شخصية ما أو قبيلة ما أو طائفة ما .

ومن خلال هذه الروايات الآنفة الذكر يتضح لنا أنّ صعصعة كان هو المتحدث الرسمي عن القوم وهو المقصود بالخطاب والعتاب والتوبيخ دائما، وهو مَن يردّ على معاوية وغيره، وهو مَن يناقش ويحاجج ويتكلم باسم الجميع، بل وباسم الأمة كلّها، وهذا يعطينا صورة واضحة عن مكانته من بين أصحابه ودوره القيادي في تلك المرحلة، وسوف يتضح لنا هذا الدور عندما تسوء الأمور ويتصدّىٰ لمناقشة الخليفة بنفسه .

كان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه، وتقواهم المعترف بها، مرتدع من أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من منفى إلى منفى، والإصاخة إلى سعاية ذلك الشاب المستهتر، والله سبحانه يقول: ﴿ إنْ جَاءَكُم فاسِقٌ بنبأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قوماً بِجَهالةٍ فتُصبِحُوا على ما فَعَلْتُم نادِمِينَ ﴾ (١) وكان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة، بل يعاقبه على ما فرط في جنب أولياء الله، بتسميته إيّاهم السفهاء، وهم قرّاء المصر، وزعماء الملأ، ونساك القطر، وفقهاء القارة، وهم القدوة في التقوى والنسك، وبهم الأسوة في الفقه والأخلاق، ولم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف، وعدم مماشاتهم إياه على شهواته ومزاعمه، وهلا استشف الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحق، لكنه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة

(١) آية ٦ سورة الحجرات.

المثلى في القضية، استهواه ذلك الشاب المترف فمال إليه بكله، ونال من القوم ما نال، وأوقع بهم ما حبّذه له الحب الـمُعمي والمُصم، لكن الدين وملأه أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ مما نقم به على عثمان (١) .

و إزاء هذا الوضع اجتمع الناس وكلّموا عليَّ بن أبي طالب فدخل على عثمان فقال: الناس ورائي وقد كلّموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنَّ الطريق لواضحٌ بينٌ، وإنّ أعلام الدين لقائمة، تعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُديَ وهَدى فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة متروكة، فوالله إنّ كُلّاً لبيّن وإنّ السنن لقائمة لها أعلام وإنّ البدع لقائمة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلّ وضُلّ به فأمات سنّة معلومة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم كما تدور الرحىٰ، ثمّ يرتطم في غمرة جهنم، وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فإنّ عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال: يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتُلبسُ أمورها عليها ويتركهم شيعاً، فلا يبصرون الحق لعلوّ الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً .

ثمّ ناقشه عثمان في أمور الحكم وتنصيب الولاة، فقال له الإمام عليه السلام: لكنّ معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس: هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية ، ولقد ضعفت ورفقت على أقربائك . فقال عثمان:

---

(١) الشيخ الأميني ، الغدير ج ٩ ص ٣٧.

هم أقربائك أيضاً . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لعمري إنّ رحمهم منّي لقريبة ، ولكنّ الفضل في غيرهم(١) . ثم صعد المنبر وأخذ يدافع عن نفسه وسياسته في الحكم وتنصيب الولاة وصرف الأموال ثم قال: كفّوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم . فتحمس مروان بن الحكم فقام وقال مخاطبا المعارضين: إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف . فقال عثمان: اُسكت لا سكتَّ ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ؟ ! ألم أتقدم إليك ألّا تنطق ؟ فسكت مروان .

ولقد تنبّه معاوية بن أبي سفيان لخطورة الموقف ونتائجه، فعرض على عثمان القدوم معه الى الشام قائلاً (انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به ، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا) .

بعدها توافد الناس في شوال عام خمسة وثلاثين للهجرة من كل مكان، واجتمع المعارضون ودخلوا يناقشون الخليفة في الأمر، وكان مع المصريين صعصعة بن صوحان

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٤ هـ – بن كثير ، البداية والنهاية – الشيخ المفيد ، الجمل .

صعصعة وعثمان بن عفان

دخل صعصعة على عثمان، قال صعصعة (١): دخلتُ على عثمان بن عفان مع نفر من المصريين، فقال عثمان قدموا لي: رجلاً منكم يكلّمني. فقدموني. فقال عثمان: هذا ؟! وكأنه استحدثني، فقلت له: إن العلم لو كان بالسنّ لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنه بالتعلّم. فقال عثمان: هات. فقلت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُم في الأرضِ أَقَامُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونَهَوا عن المنكرِ ولله عاقبةُ الأُمُور ﴾(٢). فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية. فقلت له: فأمر بالمعروف وانه عن المنكر. فقال: دع هذا وهات ما معك. فقلت: ﴿ الذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ إلّا أن يقولوا ربُّنَا اللهُ ﴾(٣). فقال عثمان: وهذه أيضا نزلت فينا . فقلت له: فاعطنا بما أخذت من الله . فقال: يا أيها الناس عليكم بالسمع والطاعة فإنّ يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع الفذ ،فلا تستمعوا إلى قول هذا فإنّ هذا لا يدري مَن الله ، ولا أين الله. فقلت: أمّا قولك، عليكم بالسمع والطاعة ،فإنك تريد منّا أن نقول غداً: ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، وأمّا قولك: ما أدري مَن الله فإن الله ربنا ورب آبائنا الأولين، وأما قولك: لا أدري أين الله ،فإنّ الله تعالى بالمرصاد . فغضب عثمان وأمر بصرفنا وغلق الأبواب دوننا .

---

(١) الشيخ للطوسي ، الأمالي، المجلس التاسع - المتقي الهندي ، كنز العمال - تاريخ خليفة خياط - ابن حبان ، الثقات .

(٢) آية ٤١ سورة الحج.

(٣) آية ٤٠ سورة الحج.

وفي رواية، قام صعصعة ذات يوم فتكلم فأكثر(١)، فقال عثمان: أيها الناس إنّ هذا البجاج (٢) النفاج(٣) لا يدري مَن الله ، ولا أين الله .

فقال صعصعة: أما قولك ما أدري مَن الله، فإنّ الله ربنا ورب آبائنا الأولين، وأمّا قولك لا أدري أين الله ، فإنّ الله بالمرصاد، ثم قرأ قول الله تعالى ﴿ أُذِنَ للذِينَ يُقَاتَلونَ بِأنَهُم ظُلِمُوا وإنّ اللهَ على نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ ﴾(٤). فلما فرغ صعصعة من قراءة الآية، قال له عثمان: ويحك ما نزلت هذه الآية إلّا فيَّ وفي أصحابي . أُخرجنا من مكة بغير حق(٥) .

وفي هذا الموقف بين صعصعة وعثمان بن عفان يتضح الدور الكبير والقيادي لصعصعة في قيادة المعارضة والتذمر من الأوضاع السائدة ومدى ما بينه وبين الخليفة من مشاحنات وعدم توافق واضح .

لقد اختارت المعارضة صعصعة بن صوحان كمتحدث رسمي باسمها يناقش الخليفة ويعرض أفكار المعارضة ويحدّد ما يجب على الخليفة فعله لتقويم الاعوجاج في الأمر القائم متخوفاً من تصعيد الأمر، ممّا ينذر بحدوث هيجان

---

(١) أي: أطال الكلام، وهو مَن إذا تكلم لا يكاد يسكت.

(٢) البَجاج: هو الممتلئ المنتفخ أو هو كثير البجبجة في كلامه، وهي الهذر من غير بيان، ويقال: يبجبج ويبقبق، انظر غريب الحديث، لابن الجوزي، ص ٤٢٨، الفايق في غريب الحديث، لجار الله الزمخشري.

(٣) نفَاج: يُمتدح بما ليس فيه وهو صاحب فخر وكبر أو متكبر .

(٤) السيوطي ، الدر المنثور سورة الحج، آية ٣٩.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ج ١١ ص - السيوطي ، الدر المنثور سورة الحج، آية ٣٩ - المتقي الهندي ، كنز العمال (٤٥٢٤) - السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة، ج٧ ص٣٨٨ - ابن أبي شيبة ، المصنف (ما جاء في خلافة عثمان).

شعبي عارم يصعب محاصرته والتعامل معه، غير أنّ الخليفة أصرّ على رأيه وأغلق أبواب النقاش وأمر بصرفهم ، وتطورت الأحداث فيما بعد وجاء الناس من الكوفة ومصر وازداد الأمر سوءاً حتى حوصر الخليفة وتسوّر الثائرون المنزل وانتهى الأمر بقتل الخليفة، وحدثت الفتنة التي كان الصحابة رضي الله عنهم يحذرون الناس منها واستغل البعض هذه الحادثة لتأجيج الفتنة وشق عصا المسلمين .

مع أمير المؤمنين عليه السلام

استلم الإمام علي عليه السلام إمارة المؤمنين بعد مقتل عثمان بن عفان وتوافد الناس ليبايعوه واتخذ الإمام قراره الحاسم في عزل الولاة الذين يرى ضرورة عزلهم، بل ونادى بإرجاع جميع الأموال التي أخذت من بيت مال المسلمين من دون حق، وهنا يمكن تقسيم الأمة إلى ثلاث فرق ، فرقة كانت تتابع الخليفة السابق منتفعة بما لديه من سلطة فيكون استلام الإمام للخلافة لا يصب في مصلحتها ويعارض المركز الاجتماعي لبعض الأفراد .

وفرقة من الناس، بايعت الإمام ووقفت إلى جانبه على افتراض أنّ الإمام سوف يعطي بعض أفرادها ولاية على بعض المناطق ويغدق عليهم من المال وهؤلاء معروفون قد غيروا رأيهم بعد أن اتضح لهم الأمر .

وقسم آخر، هم أصحاب أمير المؤمنين الخلَّص الذين يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ولا يرجون مناصب وهم معروفون أيضاً، أمثال: عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي ومالك الأشتر وصعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان وكميل بن زياد وغيرهم مِمّن أخذ على عاتقه نصرة الإمام عندما ثار عليه القسم الأول والثاني في حروبه الثلاث .

وبعد أن بايع الناس أمير المؤمنين، قام صعصعة فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنتَ الخلافة وما زانتك ورفعتَها وما رفعتك ولهي إليكَ أحوج منك

إليها (١). وأظنها من الكلمات التي جعلت الإمام الصادق يؤكد أنّ صعصعة بن صوحان كان أكثر الناس معرفة بالإمام عليّ عليه السلام، إنها كلمات رجل واثق قوي الإيمان صلب الولاء لأمير المؤمنين يعرف منزلة إمامه تمام المعرفة .

خاض صعصعة الحروب الثلاث إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وكان فيها ساعده الأيمن وثقته ورسوله إلى القوم في صفين والنهروان، يناقش الطرف الآخر بكل شجاعة وقوة، اعتمد عليه الإمام لمعرفته ووثوقه به فهو الفصيح العالم الكيّس الفطن، فالفصاحة هنا ليست كافية كما يعلم الجميع، فهناك عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والخوارج، والكل يُسأل ويشكل على الآخر، فمن هنا نجد اعتماد الإمام عليه لصفات تحققت فيه أكثر من غيره كما كان الإمام يعتمد على أخيه زيد بن صوحان كرسول يناقش ويستنهض القوم، فقد أرسله الإمام إلى أمّ المؤمنين عائشة ليناقشها وينصحها بالعودة وترك الحرب، وكانت قبل ذلك قد كتبت لآل صوحان تستنهضهم لنصرتها وترك مناصرة أمير المؤمنين أو الوقوف على الحياد، ولكنّ الردّ كان حازماً من كليهما .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ص - المازنراني ، شرح أصول الكافي، ج٧ . وتروى هذه الكلمات لغيره انظر مناقب أمير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي - الشهيد نور الله التستري ، الصوارم المهرقة - المولى حيدر الشيرواني ، مناقب أهل البيت - القندوزي ، ينابيع المودة لذوي القربى،.

صعصعة رسول الإمام إلى أهل الجمل

لم يَرُقْ للبعض أن يكون عليّ بن أبي طالب أميراً للمؤمنين، وأن يتسلّم الخلافة، الأمر الذي لا يوافق المصالح الخاصّة للبعض ولا يتماشى مع مطامعه المستقبلية، والكثير منهم يعلمون أنّ كرسي الإمارة لن يعرفوه ولن ينالوه مع حكومة عليّ بن أبي طالب، ومنهم بالطبع معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عامر الحضرمي، ومن هنا هيّج هؤلاء، الناسَ على أمير المؤمنين في الشام وأقنعوا عائشة بالتحرك ضد أمير المؤمنين. فعن الشعبي قال: خرجت عائشة نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان، فلقيها رجل من أخوالها، فقالت: ما وراءك. قال: قتل عثمان واجتمع الناس على عليّ والأمر أمر الغوغاء. فقالت: ما أظن ذلك تاماً، رُدّوني. فانصرفت راجعة إلى مكة حتى إذا دخلتها، أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي وكان أمير عثمان عليها، فقال: ما ردّك يا أمّ المؤمنين. قالت: ردّني أنّ عثمان قتل مظلوماً وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تُعزّوا الإسلام. فكان أوّل من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي، وذلك أوّل ما تكلّمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية (١). فخرجت مع مَن كان معها يطلبون بدم عثمان، متّهمين به أمير المؤمنين، رافضين بيعة الناس له، ولما انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى قريباً من البصرة، أرسل عثمان بن حنيف

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص٤٦٩ - سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل .

وهو يومئذ عامل عليّ على البصرة إلى القوم، أبا الأسود الدؤلي، فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت: أطلب بدم عثمان . قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد. قالت: صدقت ولكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيف ؟ إنما أنت حبيس رسول الله ﷺ، أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربك، وليس على النساء قتال، ولا لهن الطلب بالدماء، وإنّ علياً لأولى بعثمان منك وأمس رحماً، فإنهما ابنا عبد مناف . فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه، أفتظنُ يا أبا الأسود ! أنّ أحداً يُقدم على قتالي ؟ قال: أما واللهِ لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد (١).

وذكر صاحب العقد النضيد و الدر الفريد أن السيدة عائشة أرسلت إلى صعصعة بن صوحان العبدي بكتاب جاء فيه :

بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ من عائشة بنت أبي بكر زوجة النبيّ ﷺ إلى صعصعة بن صوحان : أيّها الولد ، فإنّي خرجت ومعي طلحة والزبير قاصدين البصرة بطلب دم الخليفة المظلوم عثمان بن عفّان ، فساعة تقف على كتابي هذا فَاكسِرْ سيفك ، والزم بيتك ، ولا تخالف قولي أيّها الولد ، والسلام عليك ورحمة اللهّ وبركاته .

فكتب صعصعة الجواب : بسم اللهّ الرّحمن الرّحيم من صعصعة بن صوحان ، صاحب رسول الله ﷺ إلى أُمّ المؤمنين عائشة : أمّا بعد ، فقد أتاني

---

(١) الشيخ الأميني، الغدير ج ٩ ص١٠٦.

كتابك أيّتها الأُمّ ، تأمُريني فيه بما أمرك الله تعالى به من لزوم البيت وترك الجهاد ، لقوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَد مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) وتفعلين أنت ما أمرني الله به من الجهاد ، وهذا عجيب ! لأنّي لو قيل : من أعقل الناس ؟ لما عدوتك ، فاتّقي الله أيّتها الأُمّ ، وارجعي إلى البيت الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله بلزومه ، فإنّي في أثر كتابي هذا خارج نحو عليٍّ عليه السلام للبيعة التي في عنقي ، والسلام على من اتّبع الهدى . (1)

قيل: إن طلحة والزبير لما قدما البصرة استقر الحال بينهما وبين عثمان بن حُنيف (٢) أن يكفّوا عن القتال إلى أن يأتي عليّ، ثم إنّ عبد الله بن الزبير بيّت عثمان بن حنيف رضي الله عنه فأخرجه من القصر، فسمع حكيم بن جبلة

(١) محمد بن الحسن القمي ، العقد النضيد و الدر الفريد - علي بن يونس العاملي ، الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٦٢

(٢) في شرح نهج البلاغة ،لابن أبي الحديد ، ج ١٦ : هو عثمان بن حنيف ـــ بضم الحاء ـــ بن واهب بن الحكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري ثم الأوسي أخو سهل بن حنيف، يكنى أبا عمرو ، وقيل: أبا عبد الله ، عمل لعمر ثم لعليّ عليه السلام ، وولاّه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق، وضرب الخراج والجزية على أهلها وولاّه علي عليه السلام على البصرة، فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة عليّ عليه السلام ، ومات بها في زمن معاوية . ذكر العلماء بالأثر والخبر أن عمر بن الخطاب استشار الصحابة في رجل يوجه إلى العراق فأجمعوا جميعاً على عثمان بن حنيف وقالوا: إن تبعثه على أهم من ذلك فإنّ له بصراً وعقلاً ومعرفة وتجربة. فأسرع عمر إليه فولاّه مساحة أرض العراق، فضرب عثمان على كل جريب من الأرض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً، فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام، مائة ألف ألف ونيف. انظر (الاستيعاب ، ابن عبد البر ، ج ٣) .

العبدي فخرج في سبعمائة من ربيعة فقاتلهم حتى أخرجهم من القصر ولم يزل يقاتلهم حتى قتل (١)

ثمّ إنّ الناس تداعوا إلى الصلح فكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة إلى قدوم عليّ على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة، وأنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة وبيت المال والمسجد، وأنّ طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شاؤوا، ثم انصرف الناس وألقوا السلاح . وتناظر طلحة والزبير، فقال طلحة: والله لئن قدم عليّ البصرة ليأخذنّ بأعناقنا . فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطأ أصحابهما على ذلك، حتى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاؤوا إلى ابن حنيف وهو يصلّي بالناس العشاء الآخرة، فأخذوه وأمروا به فوُطِئَ وطئاً شديداً، ونتفوا لحيته وشاربيه، فقال لهما: إنّ أخي سهلاً حيّ بالمدينة، والله لئن شاكني شوكة ليضعن السيف في بني أبيكما . يخاطب بذلك طلحة والزبير، فكفّا عنه وحبساه .(٢)

---

(١) بن الأثير ، أسد الغابة ج ٢ ص٤٠ . و بهذا يكون قد قتل حكيم بن جبلة العبيد في واقعة الجمل الصغرى كما تسمى أو الجمل الأولى وهو حكيم بن جبلة العبدي من أهم شخصيات المرموقة و الكبيرة من عبد القيس ، كان متديناً شريفاً عابداً مطاعاً قال بن عبد البر في الاستيعاب حكيم ، ويقال حكيم بن جبلة ، وهو الأكثر ، ويقال ابن جبل ، وابن جبلة ، العبديّ ، من عبد القيس نسبه بن الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب إلى غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بطن كبير من عبد القيس منهم حكيم بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب بن عامر بن الحارث بن الديل بن عمرو بن غنم ، أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله ليس له رواية ولا خبراً يدلّ على سماعه منه ولا رؤيته له ، وكان رجلاً صالحاً له دين ، مطاعاً في قومهم ، من خلَّص أصحاب أمير المؤمنين، استشهد في الجمل بعد أن قاتل مع ثلة من عبد القيس .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ص ٢٢٧

هكذا ابتدأ القوم القتال واعتدوا على عامل أمير المؤمنين وصاحب رسول الله ومَن شهد له الناس بالفضل والتقوى والورع، وبعد هذه الحادثة اجتمع الناس والتقى الجيشان، ولم يكن الإمام عليه السلام ليخوض حرباً دون أن يبيّن للطرف الآخر خطورة الموقف ويوضح له الطريق القويم وينصح الأمة، وذلك بالطبع انطلاقاً من موقعه بصفته إمام الأمة والخليفة الشرعي وهي مهمة الأنبياء والرسل، ولكي يلقي الحجة ويبلّغ الرسالة، غير أنّ الطرف الآخر مصرٌ على القتال سعياً وراء الدنيا، فلما سار أمير المؤمنين من ذي قار أرسل صعصعة بن صوحان إلى طلحة والزبير وعائشة، فقدم عليهم صعصعة بكتاب أمير المؤمنين يعظم عليهم حرمة الإسلام ويخوّفهم ممّا صنعوه ويذكر لهم قبيح ما ارتكبوه من قتل المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، عثمان بن حنيف وقتلهم المسلمين صبراً، ويعظهم ويدعوهم إلى الطاعة .

قال صعصعة: فقدمت عليهم فبدأت بطلحة فأعطيته الكتاب وأدّيت إليه الرسالة . فقال: الآن حين عضّت ابن أبي طالب الحرب يرفق لنا ؟

قال صعصعة: ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ .

فقالت: نعم، قد خرجت للطلب بدم عثمان واللهِ لأفعلن وأفعلن .

قال صعصعة: فعدت إلى أمير المؤمنين فلقيته قبل أن يدخل البصرة .

فقال عليه السلام: ما وراءَك يا صعصعة .

قلت: يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون إلّا قتالك .

فقال عليه السلام: الله المستعان . ثم أرسل ابن عباس فلم يستجيبوا له ثم أرسله ثالثة إلى عائشة فلم تستجب له (١).

(١) الشيخ المفيد ، الجمل، ، فصل نصيحة أمير المؤمنين لأصحاب الجمل ص ٣١٤ .

صعصعة في صفين :

انتهت معركة الجمل عام ٣٦هـ بانتصار أمير المؤمنين، وسقوط الجمل ومَن كان يدور حوله، وكتب أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان وأرسل إليه جرير بن عبد الله البجلي يدعوه إلى الدخول في طاعته باعتباره الخليفة الشرعي ومَن بايعه الناس، وقد اجتمع المهاجرون والأنصار على بيعته، فاستشار معاوية عمرو بن العاص، فأشار عليه أن يلزم الإمام بدم عثمان بن عفان ويقاتله بهذه الحجّة، ففعل معاوية ذلك وحرّض الناس في الشام ضد أمير المؤمنين ووضع قميص عثمان على المنبر وعلّق في أردانه أصابع نائلة زوجة عثمان (١) واجتمع أهل الشام على قتال أمير المؤمنين، ورجع جرير بن عبد الله البجلي إلى أمير المؤمنين وأخبره خبر أهل الشام واجتماعهم على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: إنّ علياً قتله وآوى قتلته، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وعسكر بالنخيلة وجهّز معاوية جيشه وسار بهم والتقوا في صفين .

صفين، تلك المعركة التي أفرزت الكثير من النتائج والأحداث والمتغيرات واستخدم فيها الكثير من وسائل القوة والمكر والحيلة وصمد فيها من صمد وتزلزل فيها من تزلزل ،وفي هذه المعركة خاطبَ أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه قائلاً: أشيروا عليَّ في أمر معاوية. فقال صعصعة: الرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك بكتابك تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وإلّا جاهدته.

فقال الإمام عليّ عليه السلام(عزمت عليك يا صعصعة إلّا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً، وعجزه استتابة

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث صفين .

واستنابة، ولتكن فاتحة الكتاب " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية: سلام عليك أما بعد " ثم اكتب ما أشرت به عليَّ واجعل عنوان الكتاب "ألا إلى الله تصير الأمور" .

قال صعصعة: أعفني من ذلك. قال: عزمت عليك لتفعلنّ. قال: أفعل. فخرج بالكتاب وتجهّز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية فقال لآذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وبالباب أزفلة من بني أمية(١) فأخذته الأيدي والنعال لقوله الذي قاله إنّ عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين.

فقال لهم: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربّـيَ الله ". وكثرت الجلبة واللغط حتى بلغ ذلك معاوية فأذن للناس بالدخول، وقال: من هذا الرجل ؟

فقالوا: رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي .

فقال: والله قد بلغني أمره، هذا أحد سهام عليّ وخطباء العرب(٢)، ولقد كنت إلى لقائه شيقاً، ائذن له يا غلام. فدخل عليه صعصعة فقال: السلام عليك يا ابن أبي سفيان، هذا كتاب أمير المؤمنين. فقال معاوية: أما إنه لو كانت الرسل تُقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك، ثم اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعاً أم تكلفاً .

فقال معاوية: مِمّن الرجل ؟ فقال: من نِزار؟

فقال معاوية: وما كان نِزار؟

---

(١) الأزفلة: هي الجماعة من الناس .

(٢) هذه شهادة من معاوية لصعصعة بأنه خطيب معروف بالبلاغة وفي هذه المقابلة تتضح قوة صعصعة وصلابته.

قال صعصعة: كان إذا غزا نكس، وإذا لَقِيَ افترس وإذا انصرف احترس.

قال معاوية: فمِن أيّ أولاده أنت ؟

قال صعصعة: من ربيعة.

قال معاوية: وما كان ربيعة.

قال صعصعة: كان يُطيل النِجاد ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العِماد.

قال معاوية: فمِن أيّ أولاده أنت ؟

أجابه صعصعة: من جديلة.

قال معاوية: وما كان جديلة ؟

أجابه صعصعة: كان في الحرب سيفاً قاطعاً وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء لهباً ساطعاً.

قال معاوية: فمِن أيّ أولاده أنت ؟

قال صعصعة: من عبد القيس .

قال معاوية:وما كان عبد القيس؟

أجابه صعصعة: كان خطيباً خضرماً أبيض وهاباً لضيفه ما يجد، ولا يسأل عمّا فقد ، كثير المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء .

فقال معاوية: ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً.؟ !!

قال صعصعة: بلى والله يا ابن أبي سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلّا بهم، ولهم تركت الأبيض والأحمر، والأصفر والأشقر، والسرير والمنبر،والملك إلى المحشر،و أنّى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء؟ ففرح معاوية وظنّ أنّ كلامه يشتمل على قريش كلّها.

فقال: صدقت يا ابن صوحان، إنّ ذلك لكذلك، فعرف صعصعة ما أراد فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء .

فقال معاوية: فلم ذلك، ويلك يا ابن صوحان؟!

قال: الويل لأهل النار، إن ذلك لبني هاشم.

قال معاوية: قم. فأخرجوه.

فقال صعصعة: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية: لشيء ما سوّده قومه، وددت والله أني من صلبه، ثم التفت إلى بني أمية فقال: هكذا فلتكن الرجال) (١) .

هكذا كان صعصعة رضوان الله تعالى عليه، قوي الإيمان، صلباً، راسخ اليقين، أفصح العرب وأحضرهم جواباً، يعجب به حتى خصومه ويحترمه حتى أعداؤه ويعترف بفضله حتى من خالفه، ولذلك اختاره أمير المؤمنين لهذه المهمة، وأي مهمّة مقابلة معاوية وهو مَن هو، ومن يعرفُ الرجالَ أكثر من أمير

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج٣ - انظر مختصر تاريخ دمشق، ج ١١ ص ٨٨.

المؤمنين وهو الخبير بصحيحهم وسقيمهم، عالمهم وجاهلهم، مؤمنهم وفاسقهم. فكان بحق تجسيداً للآية الكريمة ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(١).

قيل إنّه عندما دخل صعصعة على معاوية بكتاب أمير المؤمنين، قال له معاوية: الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي.

فقال صعصعة: تمنيك نفسك ما لا يكون جهلاً، معاوية لا تأثم .

فقال معاوية: يا صعصعة، تعلّمت الكلام. قال: العلم بالتعلّم، ومَن لا يعلم جاهل . قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أُذيقك وبال أمرك!

فأجابه صعصعة: ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها. قال: ومَن يحول بيني وبينك .

قال: الذي يحول بين المرء وقلبه. قال معاوية: أتسَعُ بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال له صعصعة: اتسع بطن مَن لا يشبع(٢)، ودعا عليه من لا يجمع(٣).

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩.

(٢) يشير صعصعة هنا إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وآله على معاوية. راجع الرواية في الغدير، ج ١٠ ص ١٤٢.

(٣) المسعودي ، مروج الذهب، ج ٣ ص ٤٣ .

و ذكر البلاذري في أنساب الأشراف قال معاوية : الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت فلي ، وما تركته للناس فبالفضل منّي .

فقال صعصعة بن صوحان : ما أنت وأقصى الأمّة في ذلك إلَّا سواء ، ولكن من ملك استأثر .

فغضب معاوية وقال : لهممت .

قال صعصعة : ما كلّ من همّ فعل ، قال : ومن يحول بيني وبين ذلك ؟

قال : الذي يحول بين المرء وقلبه ، وخرج وهو يقول

بيت الشمّاخ :

أريدوني إرادتكم فإنّي وحذفة كالشّجا تحت الوريد

وعندما سيطر جيش معاوية على الماء وملك شريعة الفرات فشكا الناس إلى الإمام عليّ عليه السلام العطش، بعث صعصعة إلى معاوية (١) وقال: قل له: إنّا سِرنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن مَن رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها ،قد منعتم الماء والناس غير منتهين أن يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس

---

(١) في أكثر المصادر أنه عليه السلام أرسل صعصعة وفي الامامة و السياسة لابن قتيبة أنه عليه السلام بعث الأشعث لمعاوية .

والماء ويكفّوا حتى ننظر بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له وإذا أردت القتال حتى يضرب الغالب فعلنا. إنا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا (١) .

فقال معاوية لأصحابه: ماترون ؟ فقال عبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة: امنعهم الماء. فقال صعصعة: إنما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة، الكفرة الفسقة وشربة الخمر ، ضربك وضرب هذا الفاسـق ـ يعني الوليد بن عقبة (٢) ـ فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ،فقال لهم معاوية: كفّوا عن الرجل فإنه رسول(٣).

ثم توجه معاوية لصعصعة قائلاً: فما جوابك يا صعصعة ؟ فأجابه صعصعة: سيأتيكم رأيي بعد هذا. فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال فما زالوا حتى أزاحوهم عن الماء(٤). وامتلك أصحاب أمير المؤمنين الماء، وبالطبع لم يعاملهم أمير المؤمنين عليه السلام بالمثل، بل سمح لجيش العدو بشرب الماء ولم يمنعهم عنه .

ولما اشتد القتال بين الطرفين، دعا معاوية الأحمر في هذا اليوم، مولى أبي سفيان وكان شجاعاً بطلاً ، وحثّه على قتل الأشتر أو عبد الله بن بديل، فقال الأحمر: إنّ عليّاً لا يقتله غيري. فقال معاوية: مهلاً يا أحمر، لا تبارز عليّاً .

---

(١) البغدادي ، خزانة الأدب .
(٢) وصف القرآن الكريم الوليد بن عقبة بالفاسق في موضعين ذكرناهما سابقاً.
(٣) انظر حرب صفين في تاريخ الطبري ج٣ ص٧٦ و الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٧ .
(٤) البداية والنهاية، لابن كثير .

وبرز الأحمر ونادى: أين ابن أبي طالب ؟ فصاح عليه صعصعة بن صوحان وقال: لعن الله ابن آكلة الأكباد، حيث أمرك بمناجزة خير العباد. فقال الأحمر: إنّما تقولون هذا جبناً. فبرز إليه شقران مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال له الأحمر: من أنت، فإنّي لا أقاتل إلّا أشجعكم. فعرفه شقران نفسه، فحمل عليه الأحمر فضربه فقتله وثبت مكانه وقال: ليبرز إليّ عليّ لينظر حملتي وضربتي. فصاح عليه القوم وقالوا: تنحّ أيها الكلب فما أنت بكفؤ عليّ أمير المؤمنين، فقال الأحمر: والله لا انصرف إلّا مع رأس عليّ أو أموت دونه.

فبرز إليه أمير المؤمنين وحمل عليه فأخذ بعضده وجذبه ثم رمى به من يده على الأرض فحطمه حطماً، وتولول الناس وشتموا أهل الشام، فقال أمير المؤمنين في أهل الشام: من فيهم خير وما كلّهم يرضى بفعل معاوية، فعوّدوا ألسنتكم ذكر الله، واستكثروا من قول " لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم" (١) فتقاتل الناس واشتدت الحرب وقتل خلق كثير، وقارب الأشتر على إنهاء المعركة لصالح أمير المؤمنين، وتيقن معاوية وعمرو بن العاص من الهزيمة وعمل الدهاء والمكر والكذب عمله ورفعت المصاحف وتوقف القتال وافترق الناس بين مؤيد ومعارض وبين مشكك ومتيقن ووقعت الفتنة .

وخرج من خرج من الخوارج عن طاعة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد تأثر هؤلاء أصحاب الجباه المتأثرة بالسجود والذين كانوا يقرأون القرآن آناء الليل، بخدعة عمرو بن العاص عندما رفع المصاحف بعد أن أيقن الهزيمة وكان يعرف تماماً أنّ في جيش أمير المؤمنين من يلتبس عليه الحق بالباطل ومن يأخد بالظاهر

(١) الموفق الخوارزمي ، المناقب ص ٢٢٦ .

ويترك الجوهر ومن ينادي بالقرآن الصامت ويترك القرآن الناطق، ولقد حذّرهم أمير المؤمنين من الوقوع في هذه المكيدة وقال: إنها كلمة حق يراد بها باطل، ولكن كما قال هو أيضاً: (لا رأي لمن لا يطاع). ومن هنا انقسم الجيش، فمنهم مَن ينادي بوقف القتال وتحكيم كتاب الله وكأنهم أعلم به من أمير المؤمنين وهو يعلم تأويله وتنزيله، محكمه ومتشابهه، ومنهم مَن يرى ضرورة مواصلة القتال، لأنّ النصر كان قريباً جداً، وانتهى الأمر إلى التحكيم وما حدث فيه من مهزلة يشهد التاريخ أنها وصمة عار على مَن خالف أمير المؤمنين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ذهب هؤلاء الخارجون على طاعة الإمام الشرعي إلى ظاهرة وسابقة خطيرة وهي تكفير الإمام عليّ عليه السلام.

فكان لابد من مناقشتهم لكي يعودوا الى رشدهم وللحفاظ على وحدة المسلمين، عندها قال صَعصَعة: يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام القوم .

قال: نعم، ما لم تَبْسط يداً.

قال: فنادى صَعصعةُ، ابنَ الكَوَّاء، فَخَرج إليه فقال: أنْشُدكم باللهّ يا معشرَ الخارجين ألّا تكونوا عاراً على مَن يَغزو لغيره وألّا تَخْرجوا بأرض تُسمّوا بها بعد اليوم ولا تَستعجلوا ضلالَ العام خشيةَ ضلال عامٍ قابل.

فقال له ابنُ الكَوَّاء: إنّ صاحبك لقيَنا بأمرٍ قولُك فيه صغير، فأَمسك.

قالوا: إنّ علياً عليه السلام خرج بعد ذلك إليهم، فَخَرج إليه ابنُ الكوَّاء، فقال له علي عليه السلام : يا ابن الكوَاء إنه مَن أذنب في هذا الدِّين ذَنباً يكون في الإسلام حَدَثاً

استتبناه من ذلك الذنب بعَينه وإنّ توَبتك أن تَعرف هُدى ما خرجتَ منه وضلالَ ما دخلتَ فيه. قال ابن الكوّاء: إننا لا ننكر أنّا قد فُتِنّا (١).

هكذا كان صعصعة بن صوحان مشاركا في صفين إلى جنب أمير المؤمنين وكان في قلب الحدث ومن الشخصيات التي يعتمد عليها في الحرب و السلم وفي الجدال و الأخذ و الرد و نجده أيضا راويا لما حدث في صفين حيث تلاحظ في كتب التاريخ أنه يروي الكثير من الأحداث التي وقعت في صفين ومنها عن جابر عن الشعبي عن صعصعه بن صوحان قال: برز في أيام صفين رجل اشتهر بالبأس والنجدة اسمه كريب بن الوضاح(٢) فنادى: من يبارز. فخرج إليه المرتفع بن الوضاح فقتله ثم نادى: من يبارز. فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى: من يبارز. فخرج إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتله، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ونادى: من يبارز. فخرج إليه عليّ عليه السلام وناداه: ويحك يا كريب إني حذّرتك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يدخلنّك معاوية النار. فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها أقدم إذا شئت، مَن يشتري سيفي وهذا أثره. فقال عليّ: لا حول ولا قوة إلّا بالله. ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يتشحط في دمه ثم نادى: مَن يبارز. فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث ثم نادى: مَن يبارز. فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني، فقتل مطاعاً ثم نادى: مَن يبارز. فلم يبرز إليه أحد فنادى: (﴿الشَّهْرُ

---

(١) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٥ ص ٩٧ - بن الدمشقي المتوفى ٨٧١ هـ ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي – الهيثمي ، مجمع الزوائد ج ٦ .

(٢) وفي رواية كريز بن صباح، انظر ذخائر العقبى، لأحمد عبد الله الطبري.

الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَالْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ يا معاوية هلم إليَّ فبارزني ولا يقتلنّ الناس فيما بيننا. فقال عمرو بن العاص اغتنمه منتهزاً قد قتل ثلاثة من أبطال العرب وإني أطمع أن يظفرك الله به. فقال معاوية واللهِ لن تريد إلّا أن أُقتل فتصيب الخلافة بعدي ، اذهب إليه فليس مثلي يُخدع (١).

و عن صعصعة بن صوحان ، أن أبرهة بن الصباح الحميري قام بصفين ، فقال : ويحكم يا معشر أهل اليمن ! إني لأظن الله قد أذن بفنائكم ! ويحكم خلوا بين الرجلين ، فليقتتلا ، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعًا - وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية - فبلغ قوله عليًا عليه السلام فقال : صدق أبرهة ! والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورًا مني بهذه الخطبة !

قال : وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله : إني لأظن أبرهة مصابًا في عقله . فأقبل أهل الشام يقولون والله إن أبرهة لأكملنا دينًا وعقلاً ، ورأيًا وبأسًا ، ولكن الأمير كره مبارزة علي ، وسمع ما دار من الكلام أبو داود عروة ابن داود العامري - وكان من فرسان معاوية - فقال : إن كان معاوية كره مبارزة أبي حسن ، فأنا أبارزه ، ثم خرج بين الصفين ، فنادى : أنا أبو داود فأبرز إليَّ يا أبا حسن ، فتقدم علي عليه السلام نحوه ، فناداه الناس : ارجع يا أمير المؤمنين عن هذا الكلب فليس لك بخطر .

---

(١) بن مزاحم المنقري ، وقعة صفين، ص ٣١٥ - ، بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج٥ ص ٢٤٩ (من أخبار صفين) .

فقال : والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه ، دعوني وإياه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين ، سقطت إحداهما يمنية والأخرى شامية فارتج العسكران لهول الضربة ، وصرخ ابن عم لأبي داود : وا سوء صباحاه ! وقبح الله البقاء بعد أبي داود ! وحمل على علي عليه السلام ، فطعنه فضرب الرمح فبراه ، ثم قنعه ضربة فألحقه بأبي داود ، ومعاوية واقف على التل ، يبصر ويشاهد .

فقال : تبا لهذه الرجال وقبحا ! أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة ، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع !

فقال الوليد بن عقبة : أبرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته ، فقال : والله لقد دعاني إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش ، وإني والله لا أبرز إليه ، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية له .

فقال عتبة بن أبي سفيان : الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم أنه قتل حريثًا ، وفضح عمرًا ولا أرى أحدًا يتحكك به إلا قتله .

فقال معاوية لبسر بن أرطاة : أتقوم لمبارزته ؟ فقال : ما أحد أحق بها منك ، أما إذ بيتموه فأنا له ، قال معاوية : إنك ستلقاه غدًا في أول الخيل وكان عند بسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته ، فأتى بسرًا ، فقال له : إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز عليًا ، أما تعلم أن الوالي من بعد معاوية عتبة ثم بعده محمد أخوه ، فما يدعوك إلى ما أرى ! قال : الحياء ، خرج مني كلام ، فأنا أستحي أن أرجع عنه فضحك الغلام ، وقال :

تنازله يا بسر إن كنت مثله وإلا فإن الليث للشاء آكل

كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل بآثاره في الحرب أو متجاهل

معاوية الوالي وصنواه بعده وليس سواء مستعار وثاكل

أولئك هم أولى به منك إنه علي فلا تقربه ، أمك هابل !

متى تلقه فالموت في رأس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

وما بعده في آخر الخيل عاطف ولا قبله في أول الخيل حامل .

فقال بسر : هل هو إلا الموت ، لابد من لقاء الله .

فغدا عليٌ عليه السلام منقطعًا من خيله ، ويده في يد الأشتر وهما يتسايران رويدًا يطلبان التل ليقفا عليه إذ برز له بسر مقنعًا في الحديد ، لا يعرف فناداه أبرز إلى أبا حسن ، فانحدر إليه عليٌ تؤده غير مكترث به حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه إلى الأرض ، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه ، فاتقاه بسر بعورته ، وقصد أن يكشفها ، يستدفع بأسه ، فانصرف عنه عليه السلام مستدبرًا له ، فعرفه الأشتر حين سقط فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بسر بن أرطاة ، هذا عدو الله وعدوك ، فقال : دعه عليه لعنة الله ، أبعد أن فعلها ! فحمل ابن عم بسر من أهل الشام شاب على علي عليه السلام ،فطعنه الأشتر ، فكسر صلبه ، وقام بسر من طعنة علي عليه السلام موليًا ، وفرت خيله ، وناداه علي عليه السلام : يا بسر ، معاوية كان أحق بها منك ، فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية : أرفع طرفك ، فقد أدال الله عمرًا منك . (١)

ماذكره الموفق الخوارزمي في المناقب قال الذيال بن حرملة قال : سمعت صعصعة بن صوحان يقول : لما عقد علي بن أبي طالب عليه السلام أخرج لواء

---

(١) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ٨ .

رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ير ذلك اللواء مذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فعقده ، ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعه إليه واجتمعت الأنصار وأهل بدر ، فلما نظروا إلى لواء رسول الله صلى الله عليه وآله بكوا فأنشأ قيس بن سعد بن عبادة " رض " يقول :

هذا اللواء الذي كنا نحف به دون النبي وجبريل لنا مدد

ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون لهم من غيرهم عضد

صعصعة بعد صفين :

بعد أن انتهت معركة صفين على الوضع الذي ذكرناه عزم أمير المؤمنين أن يعود للقتال، فبلغ ذلك معاوية ففزع أهل الشام، فانكسروا لذلك، فقال معاوية لعمرو بن العاص: إني قد رأيت رأياً، أن أعيد إلى عليّ كتاباً أسأله فيه الشام . فضحك عمرو، ثم قال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ ؟ فقال معاوية: ألسنا بني عبد مناف؟ فقال: بلى ولكن لهم النبوة دونكم، فإن شئت أن تكتب فاكتب .

فكتب معاوية إلى علي: أما بعد، فإني أظنك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، وإن كنا قد غلبنا على عقولنا، فلنا منها ما نذمّ به ما مضى، ونصلح ما بقي، وقد كنتُ سألتك ألّا يلزمني لك طاعة ولا بيعة، فأبيت ذلك عليَّ، فأعطاني الله ما منعت، وإني أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو، ولا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف ، وقد والله رقت الأجناد، وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعضٍ فضل، إلا فضل لا يستذل به عزيز، ولا يسترقّ به حرّ(١) .

فلما انتهى كتابه إلى عليّ عليه السلام ،دعا كاتبه عبيد الله بن رافع، فقال: اكتب: أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، وأنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد، وأمّا طلبك إليَّ الشام، فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس، وأمّا استواؤنا في الخوف والرجاء، فإنك لست أمضى على الشك منّي على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص من

---

(١) ابن مزاحم المنقري ، وقعة صفين - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة .

أهل العراق على الآخرة، وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف فكذلك، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الـمُحق كالمبطل، وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز، وبعنا بها الحرّ، والسلام(١) .

فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمرًا، فشمت به عمرو، ولم يكن أحد أشدّ تعظيماً لعليّ من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته في صفين، فقال معاوية لعمرو: قد علمت أنّ إعظامك لعليٍّ لما فضحك. قال عمرو: لم يفتضح امرؤ بارز عليّاً، وإنّما افتضح من دعاه إلى البراز فلم يُجب .

ومما أفرزته حرب صفين أن اختلف الناس، فخرج البعض على طاعة إمام زمانهم وأعلنوا الحرب ضدّه، بل كفّروه وطلبوا منه التوبة والعودة إلى الإسلام كما يدّعون، وطالب البعض بالموادعة حتى قال أحدهم: إنّ هذه الحرب قد أكلتنا، وأذهبت الرجال، والرأي الموادعة .

وقال بعضهم: لا، بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس. فقام عليّ عليه السلام خطيباً فقال: أيها الناس، إني لم أزل من أمري على ما أحب حتى قدحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك ، وقد كنت بالأمس أميراً، فأَصبحتُ اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً، فليس لي أن أحملكم على ما تكرهون(٢) .

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) بن قتيبة ، الإمامة والسياسة.

فأخذ أصحاب الإمام عليه السلام يبيّنون مواقفهم حيال ذلك الاختلاف ويعلنون طاعتهم للإمام عليه السلام، ومنهم، كردوس بن هانئ، قام فقال: أيها الناس، إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا تبرأنا من عليّ منذ توليناه، وإنّ قتيلنا لشهيد، وإنّ حيّنا لفائز، وإنّ عليّاً على بيّنة من ربّه، وما أجاب القوم إلّا إنصافاً، وكل محق منصف، فمَن سلم له نجا، ومن خالفه هوى .

ثم قام سفيان بن ثور وقال: أيها الناس إنّا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردّوه علينا، فقاتلناهم، وإنهم دعونا إلى كتاب الله، فإن رددناه عليهم، حلّ لهم منّا ما حلّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله، وإنّ عليّاً ليس بالراجع الناكص، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحرب، ولا نرى البقاء إلّا في الموادعة .

وقام حريث بن جابر فقال: أيها الناس، إنّ عليّاً لو كان خلوّاً من هذا الأمر لكان المرجع إليه، فكيف وهو قائده وسابقه ؟ وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلّا الأمر الذي دعاهم إليه أمس، ولو ردّه عليهم كنتم له أعيب، ولا يلحد في هذا الأمر إلّا راجع على عقبيه، أو مستدرج مغرور، وما بيننا وبين من طعن علينا إلّا السيف . ثم قام خالد بن معمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا والله ما أخرنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منّا، ولكن قلنا: أحب الأمور إلينا ما كُفينا مؤونته، فأما إذا استغنينا فإنّا لا نرى البقاء إلّا فيما دعاك القوم إليه اليوم، إن رأيت ذلك، وإن لم تَرهُ فرأيك أفضل .

ثم قام الحصين بن المنذر، وكان أحدث القوم سنّاً، فقال: أيها الناس، إنّما بُنيَ هذا الدين على التسليم، فلا تدفعوه بالقياس، ولا تهدموه بالشبهة، وإنّا والله

لو أنّا لا نقبل من الأمور إلّا ما نعرف، لأصبح الحق في الدنيا قليلاً، ولو تُركنا وما نهوى لأصبح الباطل في أيدينا كثيراً، وإنّ لنا راعياً قد حمدنا ورده وصدره(١)، وهو المأمون على ما قال وفعل، فإن قال: لا. قلنا: لا. وإن قال: نعم. قلنا: نعم.

ثم قام عثمان بن حنيف، وكان من صحابة رسول الله ﷺ، وكان عاملاً لأمير المؤمنين على البصرة، وكان له فضل، فقال: أيها الناس، اتّهموا رأيكم، فقد والله كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية يوم أبي جندل وإنّا لنريد القتال، إنكاراً للصلح، حتى ردّنا عنه رسول الله، وإنّ أهل الشام دعوا إلى كتاب الله اضطراراً. فأجبناهم إليه إعذاراً، فلسنا والقوم سواء، إنّا والله ما عدلنا الحيّ بالحيّ، ولا القتيل بالقتيل، ولا الشاميّ بالعراقيّ، ولا معاوية بعليّ، وإنه لأمر منعه غير نافع، وإعطاؤه غير ضائر، وقد كلّت البصائر التي كنا نقاتل بها، وقد حمل الشك اليقين الذي كنا نؤول إليه، وذهب الحياء الذي كنا نماري به، فاستظلوا في هذا الفيء، واسكنوا في هذه العافية، فإن قلتم: نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس. هيهات هيهات، ذهب والله قياس أمس، وجاء غد. فأعجب عليّاً قولُه، وافتخرت به الأنصار، ولم يقل أحد بأحسن من مقالته.

ثم قام عدي بن حاتم فقال: أيها الناس، إنه والله لو غير عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، ولا وقع بأمر قط إلّا ومعه من الله برهان، وفي يديه من الله سبب، وإنه وقف عن عثمان بشبهة، وقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل الشام على البغي، فانظروا في أموركم وأمره، فإن كان له عليكم فضل، فليس

(١) ما يأتي وما يدع.

لكم مثله، فسلّموا له، وإلّا فنازعوا عليه، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبيّ الله، والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة، إنه لأظهر الناس زهداً، وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز، إنه لأشد الناس عقلاً، وأكرمهم نحيزة(١)، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة، ولئن كان إلى الرضا، لقد رضي به المهاجرون والأنصار في شورى عمر بن الخطاب، وبايعوه بعد عثمان، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام، فما الفضل الذي قرّبكم إلى الهدى، وما النقص الذي قرّبه إلى الضلال، والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماضٍ، وكتاب سابق . فاعترف أهل صفين لعدي بن حاتم بعد هذا المقام، ورجع كل من تشعب على عليّ عليه السلام (٢).

وذكر بن قتيبة في الإمامة و السياسة ثم قام عبد الله بن حجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة، كانت عندنا أمراً واحداً، فقبلناها بالتسليم، وهذه مثل تلك الأمور، ونحن أولئك أصحابك، وقد أكثر الناس في هذه القضية، وأيمُ الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقلّ المعترف، وقد أخذت الحرب بأنفاسنا، فلم يبقَ إلّا رجاء ضعيف، فإن تُجب القوم إلى ما دعوك إليه، فأنت أوّلنا إيماناً، وآخرنا بنبيّ الله عهداً، وهذه سيوفنا على أعناقنا، وقلوبنا بين جوانحنا، وقد أعطيناك بقيتنا، وشرحت بالطاعة صدورنا، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا، فأنت الوالي المطاع، ونحن الرعية الأتباع، أنت أعلمنا بربنا

---

(١) النحائز: جمع نحيزة وهي الطبيعة.

(٢) بن قتيبة ، الإمامة والسياسة.

وأقربنا بنبينا، وخيرنا في ديننا، وأعظمنا حقاً فينا، فسدّد رأيك نتبعك، واستَخِرِ اللهَ تعالى في أمرك، وأعزم عليه برأيك، فأنت الوالي المطاع. قال: فسُرَّ عليّ عليه السلام بقوله . (١)

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا سبقنا الناس إليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك، فدعانا حكيم(٢) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه، فقاتل عدوك، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس، عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الإبل، وجباههم مثل ركب المعز (٣)، فأسر الحيّ وسلب القتيل، فكنا أول قتيل وأسير، ثم رأيت بلاءنا بصفين، وقد كلّت البصائر، وذهب الصبر، وبقي الحق موفوراً، وأنت بالغ بهذا حاجتك، والأمر إليك، ما أراك الله فَمُرْنا به(٤)

هكذا نجد صعصعة بن صوحان مطيعاً لأمر مولاه عارفاً بحقه يسير معه حيث وجهه مسلّماً أمره له .

(١) هذه الكلمات ذكرها بن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ج٤ و نسبها لصعصعة بن صوحان .
(٢) يقصد حكيم بن جبلة العبدي رضوان الله تعالى عليه.
(٣) المراد بمثل ركب المعز: أنّ بها أثراً ظاهراً من كثرة السجود.
(٤) ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٢ .

صعصعة رسول الإمام إلى الخوارج

خرجت هذه الجماعة عن طاعة الحاكم الشرعي والإمام المفترض الطاعة في موقعة صفين كما بيّنا سابقاً مع ابن الكواء وهو رجل من بني يشكر، فنزلوا حروراء، فبعث إليهم الإمام عليه السلام ابن عباس وصعصعة بن صوحان، فقال لهم صعصعة: إنما تكون القضية من قابل فكونوا على ما أنتم حتى تنظروا القضية كيف تكون.

قالوا: إنّا نخاف أن يحدث أبو موسى شيئا يكون كفراً.

قال: لا تكفروا العام مخافة عام قابل (١) .

بعث الإمام عليّ عليه السلام صعصعة إلى الخوارج فقالوا له: أرأيت لو كان عليّ معنا في موضعنا. أتكون معه؟ قال: نعم. قالوا: فأنت إذاً مقلد عليّاً دينك، ارجع فلا دين لك. فقال صعصعة: ويلكم، ألا أقلّد من قلّد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صديقاً لم يزل، أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتدت الحرب قذفه في لهواتها فيطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحدّه مكدوداً في ذات الله ،عنه يعبر رسول الله والمسلمون فأين تصدفون ؟ وأين تذهبون ؟ وإلى من ترغبون ؟ وعمّن تصدفون عن القمر الباهر والسراج الزاهر وصراط الله المستقيم وسبيل الله المقيم ؟ قاتلكم الله أنّى تؤفكون ؟ أفي الصديق الأكبر والغرض الأقصى ترمون، طاشت عقولكم وغارت حلومكم وشاهت وجوهكم، لقد علوتم

---

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ج ٣ ترجمة عبد الله بن الكواء (١٣٦٧) - المطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ .

القُلّة من الجبل ،وباعدتم العلّة من النهل ، أتستهدفون أمير المؤمنين ، ووصي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ ؟ لقد سولّت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً ،فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين ،عدل بكم عن القصد الشيطان ،وعمي بكم عن واضح المحجّة الحرمان(١) .

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي: نطقت يا ابن صوحان بشقشقة بعير وهدرت فأطنبت في الهدير، أبلغ صاحبك أنّا قاتلوه(٢)، على حكم الله والتنزيل. فقال عبد الله بن وهب أبياتاً وهي:

كـــي تلـــــزموا الحـــق وحده ونضربكم حتى يكـــــون لنا الحكم

فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

وإلّا فإنّ المشـــــرفية محـــذم بأيدي رجـــال فيهم الدين والعـــلم

فقال له صعصعة: كأني أنظر إليك يا أخا راسب مرملاً بدمائك يحجل الطير بأشلائك لا تُجاب لكم داعية، ولاتُسمع لكم واعية يستحل ذلك منكم إمام الهدى. فقال الراسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحى عليه أو علينا

أبلغ صاحبك أنّا غير راجعين عنه أو يقرّ لله بكفره أو يخرج عن ذنبه، فإنّ الله قابل التوب شديد العقاب وغافر الذنب، فإذا فعل ذلك بذلنا المهج.

---

(١) هذه الكلمات يعجز قلمي عن تحليلها وهي والله لشهادة كبيرة على مدى إيمان صعصعة ومعرفته بأمير المؤمنين وعمق حبه له واتباعه له.

(٢) الشيخ المفيد ، الاختصاص ١٢٠.

فقال صعصعة: عند الصباح يحمد القوم السرى. ثم رجع إلى الإمام عليه السلام فأخبره بما جرى بينه وبينهم، فتمثل أمير المؤمنين بهذا البيت:

أراد رسولاي الوقوف فراوحا   يداً بيد ثم أسهما لي على السواء

بؤساً للمساكين يا ابن صوحان أما لقد عهد إليّ فيهم وإنّي لصاحبهم وما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ ،وإنّ لهم أن يدور رحى المؤمنين على المارقين فيا ويحها حتفاً ما أبعدها من روح الله ثم قال:

إذا الخيلُ جالَت في الفتى وتكشّفت   عوابسُ لا يَسألنَ غيرَ طِعانِ

فكرَّت جميعاً ثم فرّقَ بينَها   سقى رُمحَهُ منها بأحمرَ قانِ

فتىً لا يلاقي القرنَ إلا بصدرهِ   إذا أرعشت أحشاءُ كلِّ جَبانِ (١)

ثم رفع رأسه ويده إلى السماء وقال: اللهم اشهد ـ ثلاثاً ـ قد أُعذر من أنذر ، وبك العون وإليك المشتكى وعليك التكلان ، وإياك ندرأ في نحورهم ، أبىٰ القوم إلّا تمادياً في الباطل ويأبى الله إلّا الحق، فأين يذهب بكم عن حطب جهنم وعن طيب المغنم ؟ وأشار إلى أصحابه وقال: استعدوا لعدوكم فإنكم غالبون بإذن الله. ثم قرأ آخر سورة آل عمران(٢) .

---

(١) بحار الأنوار، ج ٣٣ ص ٤٠٣.

(٢) اجتهد أمير المؤمنين في النصح لهؤلاء بكل وسيله فلما اجتمعوا بقرب النهروان وخرج إليهم عليّ في جمعية فلمّا أتاهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم أيها القوم قد علمتم وعلم الله أنى كنت للحكومة كارهاً حتى أشرتم على بها وغلبتموني عليها والله بيني وبينكم شهيد، ثم كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وأنتم على ذلك من الشاهدين، فقالت طائفة من القوم: صدقت، ورجعوا إلى الجماعة وبقيت طائفة منهم على قولهم، فقال عليّ: ﴿هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ ←

وقبل أن تبدأ المعركة قام صعصعة بن صوحان فنادى ثلاثاً، فقالوا : ما تشاء؟ فقال: أُذكّركم الله أن تخرجوا بأرض تكون مسبة على أهل الأرض وأذكّركم الله أن تمرقوا من الدين مروق السهم من الرمية. فلما رأيناهم قد وضعوا فينا السيوف قال عليّ عليه السلام انهضوا (١) على بركة الله تعالى فما كان إلّا

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ منهم أهل النهروان ورب الكعبة. انظر الثقات، لابن حبان، ج ٢.

(١) كان من محاوراته عليه السلام معهم أنه وجّه إليهم عليّ عبد الله بن عباس، فكلّمهم، واحتجوا عليه، فخرج إليهم عليّ فقال: أتشهدون عليَّ بجهل ؟ قالوا: لا ! قال: فتنفّذون أحكامي ؟ قالوا: نعم ! قال: فارجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر. فرجعوا من عند آخرهم، ثم جعلوا يقومون فيقولون: لا حكم إلا لله. فيقول عليّ: حكم الله أنتظر فيكم . وخرجوا من الكوفة، فوثبوا على عبد الله بن خباب بن الأرت، فقتلوه وأصحابه، فخرج إليهم عليّ، فناشدهم الله، ووجّه إليهم عبد الله بن عباس، فقال: يا ابن عباس قل لهؤلاء الخوارج ما نقمتم على أمير المؤمنين ؟ ألم يحكم فيكم بالحق، ويقيم فيكم العدل، ولم يبخسكم شيئاً من حقوقكم ؟ فناداهم عبد الله بن عباس بذلك، فقالت طائفة منهم: والله لا نجيبه. وقالت الأخرى: والله لنجيبنه ثم لنخصمنه، نعم، يا ابن عباس، نقمنا على عليّ خصَالاً كلها موبقة لو لم نخصمه منهَا إلاّ بخصلة خصمناه، محا اسمه من إمرة أمير المؤمنين يوم كتب إلى معاوية، ورجعنا عنه يوم صفين، فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى الله، وحكم الحكمين، وزعم أنه وصيّ، فضيع الوصية، وجئتنا يا ابن عباس في حلة حسنة جميلة تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه ؟ فقال ابن عباس: قد سمعت، يا أمير المؤمنين، مقالة القوم، وأنت أحق بالجواب . فقال: حججتهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، قل لهم: ألستم راضين بما في كتاب الله، وبما فيه من أسوة رسول الله ؟ قالوا: بلى! قال: فعليّ بذلك أرضى . كتب كاتب رسول الله يوم الحديبية، إذ كتب إلى سهيل ابن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين: من محمد رسول الله. فكتبوا إليه: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فاكتب إلينا: من محمد بن عبد الله لنجيبك. فمحا رسول الله اسمه بيده، وقال: إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري، فكتب: من محمد بن عبد الله، وكذلك كتب الأنبياء كما كتب رسول الله إلى الآباء، ففي رسول الله أسوة حسنة . وأمّا قولكم إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئوا إلى أمر الله، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وكنتم عددا جما، وأنا وأهل بيتي في عدة يسيرة . وأمّا قولكم إني حكمت الحكمين. فإنّ الله عزّ وجلّ حكم في أرنب يباع بربع درهم . فقال: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾، ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمهما . وأمّا قولكم

فواق من نهار حتى ضَجعنا مَن ضَجعنا وهرب من هرب فحمد اللهَ عليٌّ عليه السلام فقال: إن خليلي صلى الله عليه وآله أخبرني أنّ قائد هؤلاء رجل مخدج اليد، على حلمة ثديه شعيرات كأنهن ذنب يربوع، فالتمِسوه. فالتمَسوه فلم يجدوه، فأتيناه فقلنا: إنّا لم نجده. فقال: التمِسوه فوالله ما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ. فما زلنا نلتمسه حتى جاء عليّ بنفسه إلى آخر المعركة التي كانت لهم فما زال يقول: اقلبوا ذا، اقلبوا ذا، حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال: هاهو ذا. فقال عليّ: الله أكبر (١).

وعندما دارت رحى الحرب في النهروان أقبل صعصعة بن صوحان وإذا به يجد أبا أيوب الأنصاري وقد ضرب عبد الله بن وهب الراسبي ضربة على كتفه فأبان يده وقال: بُؤْ بها إلى النار يا مارق .

فقال عبد الله الراسبي: ستعلم أيّنا أولى بها صِليّاً .

قال أبو أيوب: وأبيك إني لأعلم .

فوقف صعصعة رضوان الله تعالى عليه وقال: أولى بها والله صليّاً من ضلّ في الدنيا عمياً ، وصار إلى الآخرة شقياً ،أبعدك الله ! وأنزحكَ ! أما واللهِ لقد

إني كنت وصياً فضيعت الوصية، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيّ عن العالمين ﴾ أفرأيتم هذا البيت، لو لم يحجج إليه أحد كان البيت يكفر، إنّ هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر، وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركي لكم . فرجع يومئذ من الخوارج ألفان، وأقام أربعة آلاف، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس، فأقامت مقدار ساعتين من النهار، فقُتلوا من عند آخرهم، وقُتل ذو الثدية، ولم يفلت من القوم إلاّ أقلّ من عشرة، ولم يقتل من أصحاب علي إلاّ أقلّ من عشرة. وكانت وقعة النهروان سنة ٣٩ (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢).

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك ج ٤، ص٥٣٢ - ابن حبان، الثقات ج ٢ ص٢٩٥ .

أنذرتك هذه الصرعة بالأمس ،فأبيت إلّا نكوصا على عقبيك ، فذق يا مارق وبال أمرك .

وشارك أبا أيوب في قتله فضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله وأتبعها بأخرى في بطنه .

ثم قال: لقد صرت إلى نار لا تطفأ ، ولا يبوخ سعيرها .

ثم احتزا رأسه وأتيا به الإمام عليّ عليه السلام .

فقالا: هذا رأس الفاسق الناكث المارق، عبد الله بن وهب .

فنظر أمير المؤمنين إليه فقطَّب ،وقال: شاه هذا الوجه ! حتى خيل إلينا أنه يبكي .

ثم قال عليه السلام: قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله ،تاركاً لحدود الله (١).

هؤلاء هم مَن حفظ القرآن، لم ينفعهم حفظهم حين حفظوه وخالفوه واتبعوا أهواءهم وخرجوا على إمامهم واختلط عليهم الحق بالباطل ولم يميزوا بين الغثّ والسمين، مع أنّ الحق كان أبلج واضح .

وهكذا يكون صعصعة بن صوحان قد خاض الحروب الثلاث مع أمير المؤمنين وكان فيها واعظاً للقوم متكلماً بارعاً ومستشاراً أميناً لأمير المؤمنين ورسولاً له في المهمات الصعبة ،عارفاً بحق إمام زمانه ،مدركاً تماماً بما حوله من ظروف وأوضاع لا تبشر بهدوء سياسي واستقرار اجتماعي ،وداعيّاً لاتّباع الحق

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٧ .

دالاً عليه مشيراً إليه باذلاً كلّ ما يملك لخدمة دينه، فقد رأيناه يوم الجمل ويوم صفين عندما اختلف أهل العراق في قتال معاوية وقال مّن قال (لقد أكلتنا الحرب وذهبت الرجال والرأي الموادعة) وقام مَن قام مؤيداً لأمير المؤمنين يعلن التزامه ومتابعته في السراء والضراء، وفي النهروان في مواقف شهد لها التاريخ والعدو والصديق بأنها كانت مشرفة وكبيرة تستحق التأمل والاحترام والإكبار من جميع مَن كتب في التاريخ واهتم بمواقف الرجال .

موقف صعصعة من الخوارج

بعد استشهاد أمير المؤمنين واستتباب الأمر لمعاوية، وفي غرة شعبان عام ٤٣هـ تحديداً ، سمع المغيرة بن شعبة أنّ الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان (١) السلمي، وتواعدوا أن يخرجوا عليه، فخطب الناس وحذّرهم من الخوارج، وخرج رؤساء القوم إلى عشائرهم فناشدوهم الله والإسلام إلّا دلّوهم على مَن يرون أنه يريد أن يهيج فتنة أو يفارق جماعة.

فقام صعصعة بن صوحان خطيباً في عبد القيس فقال: يا معشر عباد الله، إنّ الله- وله الحمد كثيراً - لمّا قسم الفضل بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القسم، فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه لملائكته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله، ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة، وارتدت طائفة وأدهنت طائفة، وتربصت طائفة، فلزمتم دين الله إيماناً به وبرسوله، وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كلّ شيء، وعلى كلّ حال، حتى اختلفت الأمة بينها،

(١) من رؤوساء الخوارج مِمّن جرح في معركة النهروان وعفى عنه الإمام عليه السلام .

فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة. وقالت طائفة: نريد أهل المغرب. وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي(١)، راسب الأزد. وقلتم أنتم: لا نريد إلّا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة تسديداً من الله لكم وتوفيقاً(٢)، فلم تزالوا على الحق لازمين له، آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمَن كان على مثل هداكم ورأيكم، الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر(٣) ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة (٤) الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا واستحلّوا دماءَنا، وشهدوا علينا بالكفر، فإياكم أن تؤوهم في دوركم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس يبقى الحيّ من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أنّ بعضهم في جانب من الحيّ، وأنا باحث عن ذلك وسائل(٥) .

---

(١) منسوب إلى راسب بن جدعان، بطن من الإزد (الأنساب، للسمعاني) وهو من القرّاء العبّاد حتى اصبحت له ثفنات من كثرة السجود (الإصابة) غير أنّ عبادته وتلاوته للقرآن لم تنفعه لأنه لم يعرف إمام زمانه ولم يتبع الحق وزاغ عنه إلى الباطل . قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: لا أعلم له رواية.

(٢) يؤكد صعصعة رضوان الله تعالى عليه في هذه الخطبة ولاءَه لأهل البيت ويبيّن أنّ محبّتهم وولاءَهم هي النعمة الكبرى. وبذلك يكون صعصعة من رواد هذا الخط المتمسك بأهل البيت عليهم السلام وإليه ولأمثاله يعود الفضل في إكمال المسيرة.

(٣) يوم النهر: يوم النهروان .

(٤) يقصد: الخوارج الذين خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين في صفين وقاتلهم الإمام عليه السلام في النهروان بعد أن كفّروا الإمام والمسلمين معه وأباحوا دماء المسلمين دون تفريق.

(٥) تاريخ الطبري، ج٣ ص ١٨٠، ويؤكد صعصعة في هذه الخطبة ولاءَه لأهل البيت ويبيّن أنّ محبّتهم وموالاتهم هي النعمة الكبرى وتسديد من الله لبني عبد القيس. وبذلك يكون صعصعة أهم رواد هذا الخط المتمسك بأهل البيت عليهم السلام .

وضّح صعصعة رضي الله تعالى عنه في هذه الخطبة الكثير من المعاني وأشار إلى الكثير من المفاهيم وهي تنقل لنا الأجواء التي عاشتها الأمة الإسلامية في تلك الفترة، وقد أشار رضي الله تعالى عنه إلى الانقسام الذي حدث بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ وكيف تفرّق الناس ثم بيّن ما حدث أيام أمير المؤمنين والجماعات التي خرجت عليه وأكد على موقفه وموقف عبد القيس من ذلك، وأنهم يتبعون أهل بيت الرسول ﷺ وأكّد على خط التشيع الواضح في خطبته هذه وخطبه الأخرى .

ومن خلال هذه الخطبة أيضاً تتّضح الرؤية السياسية لصعصعة في تلك الفترة الزمنية، فهو يستشعر مدى الخطر الكبير الذي يهدد الأمة من الخوارج الذين نحو منحىً خطيراً جداً وهو تكفير المسلمين وأباحوا دماء الناس وخاصة أصحاب الإمام علي عليه السلام، فأخذوا يقتلون بدون رحمة، فاعتبرهم أخطر فئة في تلك الحقبة، مع أنه كان يختلف مع غيرهم في الخط المذهبي والسياسي والمنهج بشكل عام، غير أنّ هذه الفئة وهي الخوارج كانت بحق أشد خطراً من غيرها. ولم يكن صعصعة رضي الله تعالى عنه راضٍ عن الكثير من الولاة وهو في خلاف واضح معهم ويحاججهم، لكنه وبحسّه الإيماني وتغليب مصلحة الأمة ومما تعلّمه من أستاذه أمير المؤمنين، نجده هنا يتفاعل مع الحدث حسب ما تقتضيه المصلحة وهو مكافحة هؤلاء التكفيريين .

فلما استشعر صعصعة رضوان الله تعالى عليه الخطر الكبير لهذه الفئة على الأمة نراه يتجاوز حالة الخلاف بينه وبين بني أمية ويطلب من المغيرة بن شعبة أن يكون هو المسؤول عن قتال هؤلاء لكي يخلص الأمة منهم، غير أنّ الحقد

الدفين في قلب المغيرة على صعصعة بسبب كثرة ما كان يحدِّث صعصعة الناس عن فضل أمير المؤمنين علانية، وهذا ما لا يرضاه الحاكم آنذاك، جعل من المغيرة يرفض هذا الطلب وقال له: أجلس فإنما أنت خطيب فرد عليه صعصعة: أو ما أنا إلا خطيب فقط! أجل واللهِ ، إني للخطيب الصليب(١) الرئيس، أما واللهِ لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا، فشؤون تفرى، وهامة تختلس، لعلمت أني أنا الليث الهزبر.

فقال المغيرة: حسبك الآن، لعمري لقد أوتيت لساناً فصيحاً . وهذا المغيرة نفسه الذي قال لصعصعة: إياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فندع كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سراً، أمّا علانية في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به (٢) .

وهذه أحد المصائب التي لقِيَها صعصعة وأصحابه في تلك الفترة من الحكم الأموي حيث كان من الممنوع والمحظور ومن المعاقب عليه أن تذكر فضل أمير المؤمنين علانية بين الناس، وهذا أشد أنواع التضليل التي مارسها بنو أمية على الأمة الإسلامية، ويصعب على أمثال صعصعة أن ينقاد إلى مثل هذه الأوامر وهو يرى أن تكليفه الشرعي إظهار فضائل الإمام كما جاءت عن الله ورسوله

---

(١) الصليب: القوي.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٨٢ .

دون زيادة أو نقصان ولاقى في ذلك الكثير وعانى الأمرّين حتى صعب عليهم تركه بين الناس يتكلم، فنفوه إلى جزر أوال وهي أبعد عن مركز الحكم وعاصمة السلطان كما فعلوا بغيره من قبل(١).

مواقف بين صعصعة ومعاوية :

كان لصعصعة رضوان الله تعالى عليه ومعاوية مواقف كثيرة اهتمت بها كتب التاريخ والأدب لما احتوته من معانٍ سامية ومفاهيم راقية وعبر كثيرة يتتلمذ عليها الرجال في كل عصر، فقد كان صعصعة محل سؤال لمعاوية وغيره لما يتمتع به من بلاغة ورأي سديد وحكمة لا تخفى على مَن عاصره أو تتبع حياته .

ومن هذه المواقف، أنه دخل على معاوية وابن العاص جالس معه على سريره فقال له: وسِّع له على ترابيّة فيه . فقال صعصعة: إني واللهِ لترابي، منه خلقت وإليه أعود ومنه أبعث، وإنّك لمارج من مراج من نار(٢) .

فقال مُعاوية لصَعْصعة: إنّما أنت هاتِف بلسانك لا تَنْظُر في أود الكلام ولا في استقامته فإن كنتَ تَنْظُر في ذلك فأَخْبرني عن أفضل المال. فقال: واللهِ إني

---

(١) ولكن رُبّ ضارّة نافعة، فلا شك في أنّ إبعاد صعصعة عن مركز الحكم وعاصمة الخلافة كان عملاً له أضراره على الأمة وتوازن القوى ونشر الرأي المعارض للحكم الأموي وتبصير الناس في ذاك العهد، غير أنّ هذا النفي كان له أثر إيجابي نشعر به نحن الآن حيث نعيش في هذا العصر، فقد أدّى هذا النفي الى ترسيخ الولاء لأهل البيت عليهم السلام ومحبتهم عند سكان بلاد البحرين، فكما كان صعصعة يحدث الناس في الكوفة وغيرها عن فضائل أمير المؤمنين، كان يحدث الناس هنا، ولو أنّ معاوية فتح عينيه في هذا الزمان لعرف كم كان قراره خاطئاً.

(٢) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٥ ص ١٠٩ - السيد شرف ، الدين صلح الإمام الحسن .

لأدع الكلامَ حتى يَخْتمر في صَدْرِي فما أرْهِف(١) به ولا أتَهلّق(٢) فيه حتى أقيم أوده وأحرِّر مَتْنه.

وإنّ أفضلَ المال لبرة سَمْراء في تُرْبة غَبْراء أو نَعْجَة صَفْراء في رَوْضة خضراء أو عَينْ خَرَّارة في أرض خَوَّارة(٣) .

قال معاوية: لله أنتَ! فأين الذِّهب والفِضَّة؟ قال: حَجَران يَصْطَكان إن أقبلتَ عليهما نفذا وإن تركتَهما لم يزيدا (٤).

وعن زرارة بن أوفى أنّ معاوية خطب الناس فقال: يا أيها الناس إنّا نحن أحق بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيضته التي انتقلت عنه ونحن ونحن ... فقال صعصعة فأين بنو هاشم منكم؟ قال: نحن أسوس منهم وهم خير منا. قال: أمرنا بالطاعة . وقال معاوية في خطبته: إنّا لكم جُنّة. فقال

---

(١) في لسان العرب (فما أرهف به: أي، لا أقطع القول بشيء قبل أن أتأمله وأروي فيه).

(٢) تهلّق: أسرع (القاموس المحيط).

(٣) خوّارة: الخور: المنخفض من الأرض ، والأرض الخوّارة التي ارتخت من كثرة الماء فساح ترابها فهي لينة سهلة والعين الخرّارة أي، لمائها خرير (لسان العرب).

(٤) بن عبد ربه ، العقد الفريد ٢ ص٣٢٢، وقيل: «إنـَّه قال لصعصعة بن صُوحان: «أنتَ رجلٌ تكلَّم بلسانك، فما مرَّ عليك جدَّلته، ولم تنظر في أرز الكلام ولا استقامته. فقال له صعصعةُ: والله إنِّي لأترك الكلام حتى يختمر في صدري، فما أُرهف به ولا أُهب فيه حتّى أُقوّم أودَه وأَنظر فيَ اعوجاجه فآخذ صفوَه وأَدعُ كَدَره». انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، وانظر: النهاية في الغريب لابن الأثير الجزري، الفائق في غريب الحديث، لجار الله الزمخشري. قال بن منظور في اللسان ولم ينظر في أَرْزِ الكلام أَي في حَصْره وجمعِه والتروّي فيه . وفي حديث صَعْصَعَةَ بن صُوحانَ : إني لأَتْرُكُ الكلام فما أُرْهِفُ به أَي لا أَرْكَبُ البَدِيهةَ ولا أَقْطَعُ القول بشيء قبل أَن أَتَأَمَّله وأُرَوِّيَ فيه ، ويروى بالزاي من الإِزْهاف الاستِقْدام .

صعصعة: فإذا احترقت الجُنّة فكيف نصنع؟ فقال: يا أيها الناس إنّ هذا ترابي. فقال: إني ترابي(١) خلقت من التراب وإلى التراب أصير(٢) .

وذات يوم قال معاوية لصعصعة: أيّ النساء أشهى إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى .

قال: فأيهن أبغض؟ قال: أبعدهن مما ترضى؟ قال: هذا النقد العاجل.

فقال صعصعة: بالميزان العادل.

وقال صعصعة لمعاوية: كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان.

يريد، غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه، فقال معاوية: إنهنّ يغلبنَ الكرام ويغلبهنّ اللئام(٣).

وسأل معاوية بن أبي سفيان صعصعة: أيّ الخيل أفضل!

فقال: الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافي الثلاث.

قال: فسّر لنا.

قال: أمّا الطويل الثلاث: فالأُذن والعنق والحزام.

وأمّا القصير الثلاث: فالصلب والعسيب(٤) والقضيب.

---

(١) نسبة لابن أبي تراب وهو أحب الألقاب الى أمير المؤمنين.
(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق .
(٣) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج٧ ص ١٠٣ .
(٤) العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر فيه (لسان العرب).

وأمّا العريض الثلاث: فالجبهة والمنخر والورك.

وأمّا الصافي الثلاث: فالأديم والعين والحافر(١) .

وتكلّم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه، فحسده عمرو بن العاص فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام .

فقال صعصعة: أجل، أجوده ما دقّ نواه ورقّ سحاؤه وعظم لحاؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدمجه، ولكنك يا ابن العاص لا تمراً تصف ولا الخير تعرف، بل تحسد فتقرف (٢) .

فقال معاوية لعمرو: رغماً لك .

فقال عمرو: وأضعاف الرغم لك وما بي إلّا بعض ما بك .

وسأل معاوية صعصعة: ما الجود ؟ فقال: التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال(٣) .

وهذا مطابق لكلام أستاذه أمير المؤمنين عندما عرف الجود حيث قال عليه السلام: (الجود ما كان ابتداءً أمّا ما كان عن مسألة فهو حياء وتذمّم) .

و ذكر البلاذري في أنساب الأشراف قال دخل صعصعة على معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال معاوية يا ابن صوحان لقد كان يسوؤني أن أراك خطيبا ، قال : وأنا والله لقد كان يسوؤني أن أراك أمير المؤمنين .

---

(١) بن عبد ربه ، العقد الفريد ج ١ ص ١١٩، والأديم: هو الجلد.

(٢) أي: تقذف، موسوعة الإمام عليّ، لمحمد الريشهري - مواقف الشيعة، للأحمدي الميانجي.

(٣) بن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ص ١٧٩ .

وسأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدي عن قبائل قريش ، فقال : إن قلنا : غضبتم ، وإن سكتنا غضبتم ، فقال : أقسمت عليك ، قال : فيمن يقول شاعركم :

وعشرة كلهم سيد آباء سادات وأبناؤها

إن يسألوا يعطوا وإن يعدموا يبيض من مكة بطحاؤها

وتكلّم صعصعة عند معاوية فعرق ، فقال له معاوية: بهرك القول. قال: إنّ الجياد نضّاحة للماء(١) .

وعندما حبس معاوية صعصعة وابن الكوّاء ورجالاً من أصحاب عليّ عليه السلام مع رجال من قريش فيما ذكرنا سابقاً، فدخل عليهم يوما فقال: نشدتكم باللهَّ إلّا ما قلتم حقاً وصدقاً، أيّ الخلفاء رأيتموني .

فقال صعصعة: تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصر عمّا أردت وليس الأمر على ما ذكرت، أنّى يكون خليفةً مَن ملك الناس قهراً ودانهم كبراً واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً، أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل: « لا حلي ولا سيرى »، ولقد كنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّما أنت طليق ابن طليق أطلقكما الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّى تصلح الخلافة لطليق ؟ ! (٢) .

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة و ذكره الجاحظ في البيان و التبيين .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص٤١، وقال ذلك يذكّره بقول الرسول صلى الله عليه وآله عندما فتح مكة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

هكذا كان صعصعة بن صوحان يتعرّض للحبس والمضايقات ويُهدّد بكل صنوف التهديد، غير أننا لا نراه إلّا طليق اللسان ، قوي الحجة ، صلباً لا يلين ، ممّا يسبب مأزقاً حقيقياً لمعاوية وحجر عثرة في طريق غروره .

وذكر البلاذري في أنساب الأشراف عن عبد الله بن سلم الفهري قال ، قال معاوية يومًا : لقد أكرم الله الخلفاء أفضل الكرامة ، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنّة ، وجعل أنصارهم أهل الشام .

فقال صعصعة بن صوحان : تكلَّمت فهجرت ، وليس الأمر كما ذكرت ، أنّي يكون خليفة من ضرب الناس قسرًا ، وخدعهم مكرًا ، وساسهم جبرًا ؟ ! فأمّا إطراؤك أهل الشام فلا أعلم أحدًا أطوع لمخلوق في معصية خالق منهم ، اشتريت أديانهم بالمال ، فإن تدرّه عليهم يمنعوك وينصروك ، وإن تقطعه عنهم يخذلوك ، فاستبان الغضب في وجه معاوية ثمّ قال : لولا أن القدرة تذهب الحفيظة ، وأنّ الحلم محمود المغبّة ، ما عدت لقولك يا صعصعة مرّة بعد مرّة ، ثمّ قال :

عفوت عن جهلهم حلما ومكرمة والحلم عن قدرة من أفضل الكرم

خطب معاوية الناس في دمشق، وفي الجامع يومئذ وفود من علماء قريش وخطباء ربيعة وصناديد اليمن وملوكها، فقال: إنّ الله تعالى أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنة فأنقذهم من النار ، ثم جعلني منهم وجعل أنصاري أهل الشام الذابّين عن حرم الله ، المؤيدين بظفر الله ، المنصورين على أعداء الله .

وكان في الجامع الأحنف بن قيس، فقال لصعصعة: أتكفيني أم أقوم أنا إليه؟ فقال صعصعة: بل أكفيك أنا .

ثم قام صعصعة فقال: يا ابن أبي سفيان ، تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت وكيف ما تقول وقد غلبتنا قسراً وملكتنا تجبراً ودنتنا بغير الحق ، واستوليت بأسباب الفضل علينا، فأمّا إطراؤك أهل الشام، فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم ، قوم ابْتَعْتَ منهم دينَهم وأبدانهم بالمال فإن أعطيتهم حاموا عنك ونصروك وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك (١) .

وعندما قدم وفد العراقيين على معاوية وكان فيهم صعصعة بن صوحان والأحنف بن قيس، قال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجال الدنيا وهم شيعة عليّ الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين، فكن منهم على حذر، فأمر لكل رجل منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة. فلما دخلوا عليه قال لهم معاوية: أهلاً وسهلاً قدمتم الأرض المقدّسة وأرض الأنبياء والرسل والحشر والنشر. (٢)

فتكلم صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً فقال: يا معاوية، أمّا قولك: الأرض المقدّسة فإن الأرض لا تقدّس أهلها وإنما تقدّسهم الأعمال الصالحة. وأمّا قولك: أرض الأنبياء والرسل. فمَن بها من أهل النفاق والشرك والفراعنة

---

(١) الشيخ الطوسي ، الأمالي ج١ ص ٥ المجلس الأول.

(٢) وفي أنساب الأشراف للبلاذري قال : قدم صعصعة بن صوحان على معاوية فقال : قدمت خير مقدم قدمت أرض المحشر ، فقال صعصعة : إنّ خير المقدم لمن قدم على الله آمنا يوم القيامة ، وأمّا أرض المحشر فليس ينفع الكافر قرب المحشر ولا يضرّ المؤمن بعده . ذكره الهمذاني (بن الفقيه) في كتاب البدان .

والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل. وأمّا قولك: أرض الحشر والنشر. فإنّ المؤمن لا يضره بُعد المحشر والمنافق لا ينفعه قُربُه(١) .

فقال له معاوية: يا صعصعة لأن تقعي على ضلعك خير لك ممّن استبرأ رأيك وأبدا ضعفك تعرض بالحسن بن علي عليّ ، ولقد هممت أن أبعث إليه.

فقال له صعصعة: أي واللهِ وجدتهم أكرمكم جدوداً وأحباكم حدوداً وأوفاكم عهوداً، ولو بعثت إليه لَوجدته في الرأي أريباً وفي الأمر صليباً وفي الكرم نجيباً، يلدغك بحرارة لسانه ويقرعك بما لا يستطيع إنكاره.

فقال له معاوية: واللهِ لأجفينك عن الوساد ولأشرِّدنَّ بك في البلاد .

فقال له صعصعة: واللهِ إن في الأرض لسعة وإنّ في فراقك لدعة .

فقال له معاوية: واللهِ لأحبس عطاءك .

قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إنّ العطاء وفضائل النعماء في ملكوت مَن لا تنفد خزائنه ولا يبيد عطاؤه ولا يجنيه في قضيته .

فقال له معاوية: لقد استقتلت ؟!.

---

(١) الشيخ المفيد ، الاختصاص، ص٦٤ . وفي رواية أنّ معاوية قال: إنّ أرضنا قريبة من المحشر. فقال له صعصعة: إنّ المحشر لا يبعد على مؤمن ولا يقرب من كافر. قال معاوية: إنّ أرضنا أرض مقدسة. قال له صعصعة: إنّ الأرض لا يقدّسها شيء ولا ينجسها إنما يقدّسها الأعمال. فقال له معاوية: عباد اتخذوا الله ولياً واتخذوا خلفاءه جُنّة يحترزوا بها. فقال له صعصعة: كيف وقد عطّلت السنّة وأحقرت الذِمّة فصارت عشواء مطلخمة في دهياء مدلهمة قد استوعبتها الأحداث وتمكنت منها الأمكاث.

فقال له صعصعة: مهلاً لم أقل جهلاً ولم أستحلّ قتلاً، لا تقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ومن قتل مظلوماً كان الله لقاتله مقيماً يرهقه أليماً ويجرعه حميماً ويصليه جحيماً .

فقال معاوية لعمرو بن العاص: أكفِناه .

فقال له عمرو: وما يجهمك لسلطانك .

فقال له صعصعة: ويلي عليك يا مأوي مطردي أهل الفساد ومعادي أهل الرشاد. فسكت عنه عمرو(١) .

وقيل: أنّ معاوية غضب وقال: اُسكت لا أُمَّ لك ولا أب ولا أرض.

فقال صعصعة: الأب والأُمّ ولداني ومن الأرض خرجت وإليها أعود(٢) . فأمر بردّه إلى زياد، ثم كتب إليه: أقمه للناس وأمره أن يلعن عليّاً ، فإن لم يفعل، فاقتله . فأخبره زياد بما أمره به فيه وأقامه للناس . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صَلَّىاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ ، ثم قال: أيها الناس إنّ معاوية أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله. ونزل . فقال زياد لصعصعة: لا أراك لعنت إلّا أمير المؤمنين . قال: إن تركتها مبهمة وإلا بيّنتها . قال زياد: لتلعننّ عليّاً، وإلّا نفذت فيك أمر أمير المؤمنين. فصعد المنبر . فقال: أيها الناس إنهم أبوا عليَّ إلّا أن أسبّ عليّاً عَلَيْهِالسَّلَامُ ، وقد قال رسول الله صَلَّىاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ : (مَن سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ اللهَ)، وما كنت بالذي أسبّ الله ورسوله .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق - السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة، ج٧ ص ٣٨٨.
(٢) القاضي النعمان المغربي ، شرح الأخبار ج ١ ص١٧٠ .

فكتب زياد بخبره إلى معاوية ، فأمره بقطع عطائه وهدم داره . ففعل . فمشى بعض الشيعة إلى بعضهم، فجمعوا له سبعين ألفاً.

هكذا يتعرض شيعة أمير المؤمنين لشتى أنواع التنكيل والإبادة والتصفية الجسدية بالاغتيالات والسم والتهجير وتهديم المنازل وبالحصار الاقتصادي، ويحاول معاوية أن يستميل بعضهم ويغريه بالمال، ومع كل هذه الضغوط نجد صعصعة قمّةً في الشجاعة والقوة والفصاحة حيث يكون فعل اللسان أكبر أثراً من فعل الحسام ويكون للكلمات أثرها الذي لا يمكن بلوغه بقوة السيف في ساحة الحرب .

وكان المغيرة في مقدم أناس كانوا ينالون من أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن الجوزي: قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلم، فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليّاً . فقال: لعن الله مَن لعن الله ولعن علي بن أبي طالب. فأخبره بذلك فقال: أقسم بالله لتقيّدنّه. فخرج فقال: إنّ هذا يأبى إلّا علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله . فقال المغيرة: أخرجوه، أخرج الله نفسه(١) .

(١) الشيخ الأميني ، الغدير ج ١٠ نقلاً عن الأذكياء، لابن الجوزي.

صعصعة يصف العرب

ومن أخباره مع معاوية، أنه دخل عليه ذات يوم فقال معاوية: يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها، فأخبرني عن أهل البصرة، وإياك والحمل على قوم لقوم.

فقال صعصعة: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره، ،قد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحىٰ على قطبها.

قال معاوية: فأخبرني عن الكوفة.

قال: قُبّة الإسلام وذروة الكلام ومظانّ ذوي الأعلام، إلّا أنّ بها أجلافاً تمنع ذوي الأمر الطاعة، وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة.

قال معاوية: فأخبرني عن أهل الحجاز.

قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم عنها، وأقّلهم غناء فيها، غير أنّ لهم ثباتاً في الدين وتمسكاً بعروة اليقين يتبعون الأئمة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجار.

فقال معاوية: مَن البررة والفسقة؟

فقال صعصعة: يا ابن أبي سفيان، ترك الخداع من كشف القناع، عليٌّ وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك(١).

ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب. فقال معاوية: أخبرني عن القُبّة الحمراء في ديار مضر.

قال: أسد مضر بسلان بين غيلين(٢)، إذا أرسلتها افترست وإذا تركتها احترست. فقال معاوية: هناك يا ابن صوحان، العز الراسي، فهل في قومك مثل هذا؟

قال: هذا لأهله دونك يا ابن أبي سفيان، ومن أحب قوماً حشر معهم.

قال: أخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنّك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك.

قال: والله ما أنا عنهم براضٍ، ولكني أقول فيهم وعليهم: هم والله أعلام الليل، وأذناب في الدين والميل لن تغلب رايتها إذا رسخت، خوارج الدين، وبرازخ اليقين، مَن نصروه فلج ومن خذلوه زلج.

قال: فأخبرني عن مصر. قال: كنانة العرب، ومعدن العز والحسب، يقذف البحر بها آذيه، والبر رديه.

---

(١) وهذه جرأة منقطعة النظير لا تجدها إلاّ في صعصعة وأمثاله من الأبطال ممّن رباهم عليّ عليه السلام فأحسن تربيتهم وهم قلة في ذلك الزمان فكيف في هذا الزمان ؟ ويتضح من هذه المقولة قوة إيمانه وتشيعه لأمير المؤمنين، وبهذه المواقف وغيرها مما ذكرنا سابقاً استحق هذا الرجل الفذ أن يكون أهم رجالات أمير المؤمنين وخلّص أصحابه.

(٢) الغيل: هو موضع الأسد. والغيال: هو الأسد. والبسالة: هي الشجاعة. وبسله: أي حبسه.

ثم أمسك معاوية عن السؤال .

فقال له صعصعة: سل يا معاوية وإلّا أخبرتك بما تحيد عنه .

قال: وما ذلك يا ابن صوحان ؟

قال: أهل الشام. قال: أخبرني عنهم .

قال صعصعة: هم أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار.

فقال معاوية: والله يا ابن صوحان إنك لحامل مديتك منذ أزمان، إلّا أنّ حلم ابن أبي سفيان يردّ عنك (١).

فقال له صعصعة: بل أمر الله وقدرته، وإن أمر الله كان قدراً مقدوراً(٢).

هكذا يضرب لنا صعصعة مثلاً عالياً راقياً في الحوار والمجادلة والبلاغة وهي رائعة من روائعه الكثيرة وصف بها العرب في زمانه وصفاً مختصراً دقيقاً ثم بيّن مكانة بني هاشم فاعتبرهم الأبرار ووصف خصمهم بالفجار، مما أغضب معاوية، ومثل هؤلاء الرجال يصعب على معاوية إبقاؤه على قيد الحياة وبين أوساط الناس والمجتمع يخالطهم ويعلمهم وهذا ما حدا به إلى نفيه بعيداً عن مركز العالم الإسلامي، إلى جزر أوال.

وكان معاوية يُعَيَّر بصعصعة بن صوحان حيث لم يكن يقدر على الردّ عليه بقول ولم يقدر على معاقبته، فعندما وفد الوليد بن جابر الطائي على معاوية وكان

---

(١) المسعودي، مروج الذهب.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ج٣ ص ٤٢.

ممّن وفد على رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوصحب الرسول وصحب أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ وشهد معه صفين فلما دخل على معاوية مع جملة مَن دخل من الناس، ولم يكن معاوية يعرفه، فلما انتسب إلى معاوية، قال له معاوية: أنت صاحب ليلة الهرير ؟(١) قال: نعم. قال معاوية: واللهِ ما تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة وأنت تقول:

شُدّوا فداءً لكم أُمّي وأبْ	**فإنما الأمرُ غدا لِـمَن غَلَبْ**
هذا ابنُ عمِّ المصطفى والمُنْتَجبْ	**تَنمْهُ للعلياءِ ساداتُ العربْ**
ليسَ بموصومٍ إذا نُصَّ النَسَبْ	**أوّلُ مَن صلّى وصامَ واقترَبْ**

قال: نعم، أنا قائلها .

قال معاوية فلماذا قلتها ؟

قال: لأنا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلّا وهي مجموعة له. فأخذ يصف أمير المؤمنين ويثني عليه وذكر أهل العراق وتفانيهم في الحرب والدفاع عن أمير المؤمنين .

فقال معاوية: وإنك تهدّدني يا أخا طيء بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق .

فقال له: يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق، وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق ، حتى لُذْتَ منهم بالمصاحف، ودعوت إليها من صدَّق بها وكذبت ، وآمن بمنزلها وكفرت ، وعرف من تأويلها ما أنكرت .

(١) هي أقسى وأصعب ليلة في صفين.

فغضب معاوية فقال له: أيها الشقيّ الخائن إني لأخال أنّ هذا آخر كلام تفوه به . فهجم عليهم عفير بن سيف بن ذي يزن وكان واقفاً على باب معاوية لّما عرف خطورة الموقف وأنّ الرجل قد يقتل بما قال. فقال: والله يا معاوية ما أقول في أهل العراق ما أقول حبّاً لهم ولا جنوحاً إليهم ولقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة (يعني صعصعة بن صوحان) وهو أعظم جرماً عندك من هذا وأنكأ لقلبك وأقدح في صفاتك وأجدّ في عداوتك وأشدّ انتصاراً في حربك(١) ثم أثبتّه وسرّحته(٢) وأنت الآن مُجمع على قتل هذا، زعمت استصغاراً لجماعتنا. وأخذ يخاطب معاوية حتى قال معاوية: الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الانسان فإنّا لم نأتِ صاحبك مكروهاً ولم نرتكب منه مغضباً فدونكه. فأخذ عفير بيد الوليد بن جابر الطائي وخرج به إلى منزله(٣) .

ومن بلاغته رضي الله عنه ما ذكره الجاحظ في البيان و التبيين، قال خرج صعصعة بن صوحان عائدًا إلى مكة فلقيه رجل فقال له يا عبد الله كيف تركت الأرض ؟ قال عريضة أريضة ، قال إنما عنيت السماء ، قال فوق البشر ومدى البصر ، قال سبحان الله إنما أردت السحاب ، قال تحت الخضراء وفوق الغبراء ، قال إنما أعني المطر قال قد عفا الأثر وملأ القتر وبل الوتر ومطرنا أحيا المطر ، قال إنسي أنت أم جني !! قال بل إنسي من أمة رجل مهدي صلى الله عليه وآله .

(١) هذا وصف دقيق لصورة العلاقة بين معاوية وصعصعة بن صوحان ومدى ما كان يتحلى به صعصعة من قوة وصلابة.

(٢) سرحته: أي تركته ولم تعاقبه فلماذا تعاقب صاحبنا على قوله ولا تعاقب ابن صوحان الذي هو أشد منه عداوة لك.

(٣) بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١٦ .

بين صعصعة وابن عباس :

سأل عبد الله بن عباس، صعصعة بن صوحان ذات يوم: ما السؤدد فيكم ؟

فقال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال، وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك شرعاً .

قال ابن عباس: فما المروءة ؟(١)

قال: إخوان اجتمعا فإن لقيا قهراً ، حارسهما قليل، وصاحبهما جليل، يحتاجان إلى صيانة مع نزاهة وديانة.

قال ابن عباس: فهل تحفظ في ذلك شعراً؟

قال: نعم، أما سمعت قول مرة بن ذهل بن شيبان حيث يقول:

إنّ السيادة والمرؤة عُلِّقـــا　　حيث السماء من السماك الأعزل

وإذا تقابل مجـــريان لغايـــة　　عثر الهجين وأسلمته الأرجـــل

ويجي الصريح مع العتاق معوداً　　قرب الجياد فلم يجئه الأفكل

فقال ابن عباس: لو أنّ رجلاً ضرب آباط إبله مشرّقاً ومغرّباً لفائدة هذه الأبيات ما عنّفته.

---

(١) وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: ما المروءة ؟ قال: الصبر والصمت، فالصبر على ما ينوبك والصمت حتى تحتاج إلى الكلام . وفي رواية عن محمد العمري أنّ شيخاً من قريش سأل صعصعة بن صوحان، ما المروءة ؟ قال: الصمت حتى تحتاج إلى الكلام رأس المروءة. انظر بن أبي الدنيا ، الصمت و آداب اللسان .

أنا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحكم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب، فمَن الحكيم فيكم؟

قال: مَن ملك غضبه فلم يعجل، وسعى إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل، ذلك الحكيم يا ابن عباس.

قال ابن عباس: فهل تجد ذلك فيكم كثيراً؟

قال: ولا قليلاً ، إنما وصفت لك أقواماً لا تجدهم إلّا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون، فأما الآخرون فإنهم سبق جهلهم حلمهم، ولا يبالي أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة ما كان بعد أن يدرك زعمه ويقضي بغيته، ولو وتره أبوه قتل أباه، أو أخوه لقتل أخاه، أما سمعت قول زبان بن عمرو بن زبان:

فلو أمّي ثقفتُ بحيثُ كانـوا   لبلِّ ثيابها عَلَـقٌ صَبيبُ
ولو كانت أميةُ أختَ عمرو   بهذا الماء ظلَّ لهـا نَحيبُ
شهرتُ السيفَ في الأدنينِ منّي   ولم تعطف أواصرنا قلوبُ

قال ابن عباس: فمن الفارس فيكم؟ حدَّ لي حداً أسمعه منك فإنك تضع الأشياء مواضعها يا ابن صوحان(١) .

قال: الفارس مَن قصر أجله في نفسه، وضغم على أمله بضرسه، وكانت الحرب أهون عليه من أمسه، ذلك الفارس إذا وقعت الحروب، واشتدت

(١) إنّ كلام ابن عباس وهو من هو (حبر الأمة) يجلي لنا المكانة الحقيقية التي كان يتمتع بها صعصعة بن صوحان بين الناس في زمانه وهذه المقولة من ابن عباس ومجموعة الأسئلة تبين لنا أنّ صعصعة كان حكيماً إضافة إلى بلاغته وشجاعته وإيمانه الصلب..

بالأنفس الكروب، وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال، وتخالسوا المهج، واقتحموا بالسيوف اللجج .

قال ابن عباس: أحسنت واللهِ يا ابن صوحان، إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء، ما ورثت هذا عن كلالة، زدني .

قال: نعم، الفارس كثير الحذر، مدير النظر، يلتفت بقلبه، ولا يدير حرزات صلبه.

قال: أحسنت واللهِ يا ابن صوحان الوصف، فهل في مثل هذه الصفة من شعر؟

قال: نعم، لزهير جناب الكلبي يرثي ابنه عمراً حيث يقول:

فارسٌ تكلأُ الصحابة منهُ بحسامٍ يَمرُّ مرَّ الحريقِ

لا تراهُ لدى الوغى في مجالٍ يغفل الطرفَ، لا، ولا في مَضيقِ

من يراهُ يخلْهُ في الحرب يوماً أنه أخرقُ مُضلَّ الطريقِ

فقال له ابن عباس: فأين أخواك منك يا ابن صوحان؟ صفهما لأعرف وزنكم قال: أمّا زيد فكما قال أخو غني:

فتىً لا يبالي أن يكونَ بوجههِ إذا سَدَّ خلّاتِ الكرامِ شُحوبُ

إذا ما تراهُ الرجالُ تحفظوا فلم ينطقوا العوراءَ وهو قريبُ

حليفُ الندى يدعو الندى إليه ويدعوهُ الندى فيُجيبُ

يبيتُ الندى يا أمَّ عمرو ضجيعَهُ إذا لم يكن في المنقيات حَلوبُ

كأنَّ بيوتَ الحيِّ ما لم يكــنْ بها بسابِسُ(١) ما يلفى بهـــنّ عَريبُ

كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، وذاكر الله طرفي النهار وزلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيّان، لا ينافس في الدنيا، وأقلّ أصحاب مَن ينافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بعقام(٢)، يهرب منه الدعار(٣)، والأشرار ويألفه الأحرار والأخيار(٤).

فقال ابن عباس: ما ظنّك برجل من أهل الجنة(٥)، رحم الله زيداً .

قال: فأين كان عبد الله منه؟

قال: كان عبد الله سيّداً شجاعاً، مألفاً مطاعاً، خيره وساع، وشره دفاع، قلبي النحيزة، أحوزي الغريزة، لا ينهنهه منهنه عما أراده (٦)، ولا يركب من الأمر إلّا عتاده، سمام عدي، وباذل قرى، صعب المقادة، جزل الرفادة، أخو إخوان، وفتى فتيان، وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان:

---

(١) بسابس: القفر(الخراب).

(٢) عقام: شديد. قيل: حرب عقام: أي شديدة. ويوم عقام: أي شديد.

(٣) الدعار: الدعارة والدعرة: هم الخبيثون والفساق والفجار. والدعارة: سوء الخلق.

(٤) مروج الذهب، ج٣ ص٤٤ .

(٥) يشير ابن عباس لحديث الرسول صلى الله عليه وآله عن زيد أنه رجل تسبقه يده إلى الجنة فقد قطعت يده في معركة جلولاء عام ١٦ . ثم استشهد مع أمير المؤمنين في واقعة الجمل فعليه رضوان الله. ولقد تناولنا هذه الشخصية العملاقة في كتابنا (ثلاثة من أهل الجنة).

(٦) لا ينهنهه: لا يجبره ولا يردعه أحد عن فعل شيء . وهنا يذكر صعصعة أخاه عبد الله ومن قبل ذكر زيد رضوان الله تعالى عليهم ولم يذكر سيحان والظاهر لأنّ عبد الله هو سيحان نفسه، فمن الملاحظ أنّ البعض يذكر زيداً وعبد الله، وآخرون يذكرون زيداً وسيحاناً ولم يذكر هنا الثلاثة.

سهامُ عديٍ بالنبلِ يقتلُ مَن رمى   وبالسيفِ والرمحِ الرُدينيِّ مَشغبُ

مهيبٌ مفيدٌ للنَــوالِ مُعــوَّدٌ   بفعلِ النَدى والـمَكــرُماتِ مُجرّبُ

فقال له ابن عباس: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب.

وفي هذه المقولة من حبر الأمة ابن عباس شهادة ما بعدها شهادة لهذا الرجل الفذ على مكانته العلمية التي فاقت أقرانه حتى أصبح مثلاً للفصاحة والبلاغة والخطابة فيسأله أمثال ابن عباس مع ما هو عليه ابن عباس من مكانة علمية لا تخفى على أحد وفي هذه المحادثة بين ابن عباس وصعصعة وغيرها من المحادثات التي ذكرناها سابقاً يتضح أنه رضوان الله عليه كان حكيماً يأنس الناس بالجلوس معه والتزود من علمه ومعرفته .

يروى أنّ صعصعة مرّ على قوم وهو يريد مكة فقالوا له: من أين أقبلت ؟ قال: من الفج العميق ، قالوا: ما تريد؟ قال: البيت العتيق . قالوا: هل كان من مطر؟ قال: نعم ، عفَى الأثر ، وأنظر الشجر ، ودهده الحجر(١). قالوا: أيّ آية في كتاب الله أحكم؟ قال: قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ سورة الزلزلة (٢) .

صعصعة ورجل من بنى فزارة :

وقف رجل من بني فزارة على صعصعة، فأسمعه كلاماً كان منه: بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيَّبوك (٣)، أما لئن شئت لأكوننّ لك

---

(١) دهده الحجر: أي دحرجه.

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق .

(٣) وهذا دليل قوي على مكانة صعصعة ومدى قوة كلامه ومهابة الناس منه.

لِصاقاً، فلا تنطق إلّا حدّدت لسانك بأذرب من ظبّة السيف، بعضبٍ قويٍّ، ولسانٍ عليٍّ، ثم لا يكون لك في ذلك حِلّ ولا تَرحال .

فقال صعصعة: لو أجد غرضاً منك لرميت، بل أرى شبحاً ولا أرى مثالاً، إلّا ﴿ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾(١)، أما لو كنت كفؤاً لرميت حصائلك بأذرب من ذلك السنان، ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال، ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام.

فوصل الكلام إلى ابن عباس رضوان الله تعالى عليه فاستضحك من الفزاري، وقال: أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبل شمام إلى الهضام لكان أهون(٢) عليه من منازعة أخي عبد القيس، خاب أبوه، ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة. ثم تمثل قائلاً:

صُبّتْ عليك ولم تَنصَبْ من أممٍ　　　إنّ الشقاءَ على الأشقينَ مَصبوبُ(٣)

صعصعة يشفع للمنذر بن الجارود :

كان أمير المؤمنين عليه السلام ولّى المنذر بن الجارود على بعض بلاد فارس فاختار من الخراج ٤٠٠ ألف درهم، فحبسه أمير المؤمنين عليه السلام، فشفع فيه صعصعة بن

---

(١) إشارة إلى آية ٣٩ من سورة النور ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَّ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللهُّ سَرِيعُ الْحِسابِ ﴾ وأراد صعصعة من ذلك إنقاص قدر المتحدث فهو ليس بشيء.

(٢) وهذا يدل على صعوبة مجاراة صعصعة في المحادثة والمجادلة والفصاحة وسرعة البديهة.

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦ .

صوحان(١) عند أمير المؤمنين وقام بأمره وخلّصه، فقال الأعور الشني الشاعر هذين البيتين:

ســـائلٌ سـراةَ بني الجارود أيُّ فتىً عِنـدَ الشفاعَةِ والبابِ ابنُ صوحانا

مـا كـان إلّا كـأمٍّ أرضَـعتْ ولـداً عُقت فلم تُجزَ بالإحسان إحسانا (٢)

و الظاهر من هذين البيتين أنّ المنذر بن الجارود لم يراعِ هذا الإحسان والمعروف الذي أسداه إياه صعصعة رضوان الله عليه، بل قابل ذلك بالجحود ،وكان المنذر ممّن فارق أمير المؤمنين والتحق بمعاوية .

صعصعة يصف ابن عباس:

عن أبي نصر بن أبي ربيعة يقول: (ورد صعصعة بن صوحان على عليّ بن أبي طالب عليه السلام من البصرة فسأله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكان على خلافته بها، فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث، آخذ بقلوب الرجال إذا حَدّث وبحسن الاستماع إذ حُدّث وبأيسر الأمور إذا خولف، تارك للمراء وتارك لمقاربة اللئيم وتارك لما يعتذر منه) (٣).

---

(١) قال ابراهيم بن محمد الثقفي صاحب الغارات: وكان صعصعة من مناصحيه.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الغارات، باب (فيمن فارق عليّاً) ج٢ ص٣٥٧. و ذكره بن حجر في الإصابة ج ٣

(٣) البيهقي ، شعب الإيمان (باب حسن الخلق) - بن كثير ، البداية و النهاية ج ٨ .

صعصعة يصف أمير المؤمنين:

إنّ خير مَن يصف أمير المؤمنين هو الله جلّ شأنه وتعالى اسمه وقد وصفه في كتابه ومدحه في آياته وخير مَن يصف أمير المؤمنين بعد الله هو الرسول الأعظم وأهل البيت ثم أصحابه عليه السلام ممّن جالسه وسمع كلامه وعرف مقامه، ومنهم صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه .

قال صعصعة وهو يصف أمير المؤمنين: كان فينا كأحدنا ليِّنُ جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابة مهابة الأسير المربوط للسَيّاف الواقف على رأسه (١).

وعن عمرو بن يحيى قال: مرَّ صعصعة بن صوحان على المغيرة فقال له: من أين أقبلت ؟ قال صعصعة: من عند الوليّ التقيّ ، الجواد الحييّ ، الحليم الوفيّ ، الكريم الحفيّ ، المانع بسيفه ، الجواد بكفه ، الوري زنده ، الكثير رفده ، الذي هو من ضضئي أشراف أمجاد ، ليوث أنجاد ، ليس بقعاد ولا إنكاد ، ليس في أمره بوغد ولا في قوله فند ، ليس بالطائش النزق ، ولا بالرئث المذق ، كريم الآباء ، شريف الأبناء ، حسن البلاء ، ثاقب السناء ، مجرب مشهور ، وشجاع مذكور ، زاهد في الدنيا ، راغب في الآخرة . فقال المغيرة: هذه صفات أمير المؤمنين عليّ (٢).

---

(١) القندوزي ، ينابيع المودة لذوي القربى - العلامة الحلي ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد .
(٢) الأحمدي الميانجي ، مواقف الشيعة ج ٢ .

وسُئل صعصعة كيف كان عليٌّ ؟

قال: إنه جمع الحلم والسلم والعلم والقرابة القريبة والهجرة القديمة والبلاء العظيم في الإسلام (١) .

---

(١) محمد بن سليمان الكوفي ، مناقب أمير المؤمنين،..

صعصعة يروى عن أمير المؤمنين

مَن يتتبع كتب الحديث يجد روايات عديدة لصعصعة بن صوحان يذكر فيها فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام ويبين معاجزه المبهرة، وكثيراً ما نجد صعصعة إلى جانب أمير المؤمنين يسأل ويتعلّم ويأخذ من هذا المعين الصافي وينهل من علوم أهل البيت عليهم السلام ، حتى ضاق الحال بحكام عصره، وهدّدوه وبيّنوا له سخطهم عليه لكثرة ذكره أمير المؤمنين وبيان فضائله، حتى نفوه بعيداً عن مركز الدولة الإسلامية إلى أطرافها، إلى جزر البحرين يريدون ليطفئوا نور الله غير أنّ هذا النفي كان خيراً كثيراً لأهل هذه المنطقة التي عرفت حق أهل البيت من خلال هذا الرجل العظيم وغيره وتمسكت بهذا الفكر الأصيل .

ومن الروايات التي يرويها صعصعة بن صوحان رواية تفسير أمير المؤمنين لصوت الناقوس عن الحارث الأعور وزيد وصعصعة ابني صوحان والبراء بن سبرة والأصبغ بن نباتة ومحمود بن الكواء، أنه قال عليه السلام: (يقول: سبحان الله حقّاً حقّاً إنّ المولى صمد يبقى يحلم عنا رفقاً رفقاً لولا حلمه كنا نشقى حقّاً حقّاً صدقاً صدقاً إنّ المولى يسائلنا ويوافقنا ويحاسبنا يا مولانا لا تهلكنا وتداركنا واستخدمنا واستخلصنا، حلمك عنا قد جرَّأنا يامولانا عفوك عنا إنّ الدنيا قد غرتنا واشتغلتنا واستهوتنا واستهلتنا واستغوتنا يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً يا ابن الدنيا دقاً دقاً وزناً وزناً تفنى الدنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضي عنا إلا تهوى منا ركناً قد ضيعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى، تفنى الدنيا قرناً قرناً قرناً كلا موتاً كلا موتاً كلا موتاً كلا دفناً كلا فيها موتاً نقلاً

نقلاً دفناً دفناً يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً زن ما يأتي وزناً وزناً لو لا جهلي ما إن كانت عندي الدنيا إلّا سجناً خيراً خيراً شراً شراً شيئاً شيئاً حزناً حزناً ما ذا من ذا كم ذا أم ذا هذا أسنى ترجو تنجو تخشى تردى عجل قبل الموت الوزنا ما من يوم يمضي عنّا إلّا أوهن منا ركناً إنّ المولى قد أنذرنا إنّا نحشر عزلاً بهما). قال: ثم انقطع صوت الناقوس فسمع الديراني ذلك وأسلم وقال: إني وجدت في الكتاب أنّ في آخر الأنبياء من يفسّر ما يقول الناقوس (١).

كما روى صعصعة بن صوحان أنّ أمير المؤمنين صلّى بهم صلاة الصبح في جامع الكوفة، فلما فرغ أقبل على القبلة بوجهه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً يذكر الله حتى أشرقت الشمس ثم أقبل علينا فقال: لقد عهدتُ أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليراوحون في هذا الليل بين جباههم وركبهم فإذا أصبحوا أصبحوا شعثاً غبراً بين أعينهم شبه ركب المعزى، فإذا ذكروا الموت مادوا كما تميد الشجرة في الريح ثم انهملت عيونهم حتى تبلّ ثيابهم. ثم نهض عليه السلام وهو يقول: كأنما القوم باتوا غافلين (٢).

وعن قال صعصعة بن صوحان قال خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذي قار وعليه عمامة سوداء فقال : يا أيها الناس ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ليس من وال ولا قاض إلّا يؤتى به يوم القيامة حتّى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط ثم ينشر الملك سيرته فيقرؤها على رؤوس الأشهاد –

---

(١) وفي مناقب آل أبي طالب ذكر ابن شهر آشوب أنّ أسقفاً جاء إلى الإمام من دير الديلم من أرض فارس وقد سمع أنّ رجلاً قد فسّر الناقوس يعنون به علياً عليه السلام ، فقال: سيروا بي إليه فإني أجده أنزعاً بطيناً فلمّا رأى أمير المؤمنين قال: عرفت صفته في الإنجيل .

(٢) الشيخ المفيد ، الإرشاد ، باب ذكر خيار أصحابه ج١ ص ٢٣٦.

الخلائق - فإن كان عادلاً نجّاه الله بعدله وإن كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كلّ عضو من أعضائه مسيرة مائة سنة ثم يتخرّق به الصراط فما يلتقى قعر جهنم إلّا بوجهه وحرّ جبينه (١)

وعن صعصعة بن صوحان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام اختصم إليه خصمان فحكم لأحدهما على الآخر، فقال المحكوم عليه: ما حكمت بالسوية ولا عدلت في الرعية ولا قضيتك عند الله بالمرضية. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اخسأ يا كلب فجعل في الحال يعوي. ثم قال: ألا وإني أخو رسول الله وابن عمّه ووارث علمه ومعدن سرّه وعيبة ذخره ما يفوتني ما عمله رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ما طلب ولا يعزب علي ما دبّ ودجّ وما هبط وما عرج وما غسق وانفرج وكل ذلك مشروح لمن سأل، مكشوف لمن وعى(٢) .

ورواه الشريف الرضي في خصائص الأئمة ولم يذكر الراوي وفيه زيادة قال فاستحال كلبًا أسود ، فقال من حضره : فوالله لقد رأينا ثيابه تطاير عنه في الهواء ، وجعل يبصبص لأمير المؤمنين عليه السلام ، ودمعت عيناه في وجهه ، ورأينا أمير المؤمنين عليه السلام وقد رق فلحظ السماء ، وحرك شفتيه بكلام ، لم نسمعه فوالله لقد رأيناه وقد عاد إلى حال الإنسانية ، وتراجعت ثيابه من الهواء ، حتى سقطت على كتفيه ، فرأيناه وقد خرج من المسجد ، وإن رجليه لتضطربان .

فبهتنا ننظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لنا : ما لكم تنظرون وتعجبون ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين : كيف لا نتعجب وقد صنعت ما صنعت .

---

(١) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٦

(٢) بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، فصل إجابة دعوته ج ٢ ص ٢٨١.

فقال : أما تعلمون أن آصف بن برخيا ، وصي سليمان بن داود عليهما السلام قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر فقص الله جل أسمه قصته حيث يقول : (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)) إلى آخر الآية .

فأيما أكرم على الله نبيكم أم سليمان عليهما السلام ؟ فقالوا : بل نبينا عليه السلام أكرم يا أمير المؤمنين قال : فوصي نبيكم أكرم من وصي سليمان وإنما كان عند وصي سليمان عليهما السلام من اسم الله الأعظم حرف واحد ، فسأل الله جل اسمه فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس فتناوله في أقل من طرف العين ، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفا ، وحرف عند الله تعالى استأثر به دون خلقه . فقالوا له يا أمير المؤمنين : فإذا كان هذا عندك فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره ، واستنفارك الناس إلى حربه ثانية ؟ فقال : (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) . إنما أدعو هؤلاء القوم إلى قتاله لثبوت الحجة ، وكمال المحنة ، ولو أذن لي في إهلاكه لما تأخر ، لكن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء ، قالوا فنهضنا من حوله ونحن نعظم ما أتى به عليه السلام .

وعن صعصعة بن صوحان: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو على العشاء فقال: يا صعصعة أُدنُ فكُلْ. قلتُ: قد تعشيتُ. وبين يديه نصف رمانة،

فكسر لي وناولني بعضه وقال: كلهُ مع قشره (يريد مع شحمه) فإنه يُذهب بالحفر وبالبخر ويطيب النفس(١).

وعن صعصعة أيضا أنّ المدينة أمطرت مطراً ثم صحت، فخرج النبي ﷺ إلى صحرائها ومعه أبو بكر فلما خرجا فإذا بعليّ مقبل فلمّا رآه النبي ﷺ قال: مرحباً بالحبيب القريب. ثم قرأ قوله تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِراطِ الْحَمِيدِ﴾ أنت يا عليّ منهم. ثم رفع رأسه إلى السماء وأومأ بيده إلى الهواء وإذا برمانة تهوي عليه من السماء أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، فأخذها النبيّ ﷺ فمصّها حتّى رُويَ، ثم ناولها علياً فمصّها (٢) .

وعن صعصعة بن صوحان والأحنف بن قيس قالا جميعاً: سمعنا عن ابن عباس يقول: كنت مع رسول الله ﷺ إذ دخل علينا عمرو بن الحارث الفهري قال: يا أحمد أمرتنا بالصلاة والزكاة، أفمنك هذا أم من ربّك يا محمد ؟

قال: الفريضة من ربّي وأداء الرسالة منّي حتى أقول ما أدّيت إليكم إلّا ما أمرني ربّي. قال: فأمرتنا بحبّ علي بن أبي طالب زعمت أنه منك كهارون من موسى وشيعته على نوق غرّ محجلة يرفلون في عرصة القيامة، أهذا سبق من السماء أم كان منك يا محمد ؟ قال: بلى، سبق من السماء ثم كان منّي خلقنا الله نوراً تحت العرش.

فقال عمرو بن الحارث: الآن علمت أنك ساحر كذّاب يا محمد، ألستما من ولد آدم ؟ قال: بلى، ولكن خلقني الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم، فجعل

---

(١) البرقي ، المحاسن ج ٢ ص٥٤٣ - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ج ٢٥

(٢) بن شاذان القمي ، الفضائل، ص١٦٧ .

ذلك النور في صلب آدم، فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب حتى تفرقنا في صلب عبد الله بن عبد المطلب وأبي طالب، فخلقني ربّي من ذلك النور، لكنه لا نبيّ بعدي .

قال: فوثب عمرو بن الحارث الفهري مع اثني عشر رجلاً من الكفار وهم ينفضون أرديتهم وهم يقولون: اللهم إن كان محمد صادقاً في مقالته فارم عمراً وأصحابه بشواظ من نار. قال: فـرُميَ عمرو وأصحابه بصاعقة من السماء، فأنزل الله هذه الآية ﴿ سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ ﴾ (١) .

وممّا رواه عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان عن أبي المعتمر مسلم بن أوس قال: حضرت مجلس عليّ عليه السلام في جامع الكوفة، فقام إليه رجل مصفرّ اللون كأنه من متهودة اليمن فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنّا نراه وننظر إليه. فسبَّح عليّ عليه السلام ربّه وعظّمه عزّ وجلّ وقال: (الحمد لله الذي هو أول لا بدئ مما ،ولا بطن فيما، ولا يزال مهما ولا ممازج مع ما ، ولا خيال وهما ،ليس بشبح فيُرى ولا بجسم يتجزأ ،ولا بذي غاية فيتناهى، ولا بمحدث فيُبْصَر، ولا بمستتر فيُكْشَف ، ولا بذي حجب فيحوى ، كان ولا أماكن تحمله أكنافها ،ولا حملة ترفعه بقوتها ، ولا كان بعد أن لم يكن ، بل حارت الأوهام أن يُكيّف ، الـمُكيّفُ للأشياء ، ومن لم يزل بلا مكان ، ولا يزول باختلاف الأزمان ،ولا ينقلب شأناً بعد شأن ، البعيد من حدس القلوب ،المتعالي عن الأشباه والضروب ، الوتر علام الغيوب ،فمعاني الخلق عنه منفية، وسرائرهم عليه غير خفية ،المعروف بغير كيفية ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس

(١) تفسير فرات الكوفي المتوفى ٣٥٢ هـ ص ٥٠٣ - بحار الأنوار(أخبار الغدير) ج ٣٧ ص ١٧٤

بالناس ، ولا تدركه الأبصار ولا تحيطه الأفكار ولا تقدره العقول ولا تقع عليه الأوهام...) إلى آخر الخطبة (١) .

وعن صعصعة بن صوحان أنّ ثعباناً رقى إلى المنبر إلى عليّ عليه السلام في الكوفة فقصده الناس فنهاهم عنه فالتقم علي عليه السلام أذنه محركاً شفتيه، والثعبان كالـمُصغي إليه، ثم ذهب فكأن الأرض ابتلعته، فتحير الناس فيه فسألوه، فقال: هو حاكم الجن، التبس عليه مسألة فأفهمته إياها (٢).

وعنه رضوان الله تعالى عليه قال: جاء أعرابي إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، كيف نقرأ هذا الحرف (لا يأكله إلّا الخاطون) كلٌ واللهِ يخطو! فتبسم علي وقال: (لا يأكله إلّا الخاطئون) قال: صدقت يا أمير المؤمنين، ما كان الله ليسلم عبده.

ثم التفت عليٌ عليه السلام إلى أبي الأسود الدؤلي فقال: إنّ الأعاجم قد دخلت في الدين كافة، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم، فرسم له الرفع والنصب والخفض(٣). وبذلك يكون أمير المؤمنين قد وضع أساسيات علم النحو .

---

(١) الشيخ الصدوق ، التوحيد .

(٢) علي بن يونس العاملي المتوفي ٨٧٧هـ ، الصراط المستقيم ج ١ ص ٩٦.

(٣) السيوطي ، الدر المنثور تفسير سورة الحاقة آية ٣٧ - المتقي الهندي ، كنز العمال (٢٩٤٥٧) - تفسير الأمثل، ميزان الحكمة ، للري شهري - السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان .

وعن عمرو بن صعصعة بن صوحان العبدي عن عليّ عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينتفع من الخنزير بشيء(١).

وعن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني ، قالها ثلاثاً .

فقام إليه صعصعة بن صوحان العبدي فقال: يا أمير المؤمنين! متى يخرج الدجّال؟ فقال عليه السلام : اُقعد فقد سمع الله كلامك، وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وأمارات وهنات، يتبع بعضها بعضاً كحذوِ النعلِ بالنعلِ فإن شِئتَ أنبأتك بها! فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال عليٌ عليه السلام: احفظ، فإنّ علامة ذلك إذا أمات الناسُ الصلوات، وأضاعوا الأمانة، و استحلّوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السُفهاء، وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء واستخفّوا بالدماء وكان العلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان، وحُليت المصاحفُ وزُخرفت المساجدُ وطُوِّلت المنائرُ وأُكرم الأشرارُ وازدحمت الصفوف واختلفت القلوب ونُقضت العهودُ واقترب الموعود وشاركت النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا وعلت أصوات الفساق واستُمِعَ منهم وكان زعيم القوم أرذلهم واتُقيَ الفاجرُ مخافة شرّه وصُدِّقَ الكاذبُ وائتُمن الخائن، واتخذت

(١) المتقي الهندي ، كنز العمال (٢٧٢٩٠).

القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها وركبت ذوات الفروج السروج(١) وتشبّه النساء بالرجال والرجال بالنساء وشهد الشاهد من غير أن يستشهد وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه وتفقّه لغير الدين وآثروا عمل الدنيا على عمل الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيفة وأمرُّ من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل(٢).

قال النزال بن سبرة: فلما انتهى أمير المؤمنين من كلامه قال: لا تسألوني عما يكون بعد هذا فإنه عهد إليّ حبيبي أن لا أخبر به غير عترتي. قال النزال ابن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة: يا ابن سبرة إنّ الذي يصلّي عيسى بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن عليّ، وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع الميزان بالقسط، فلا يظلم أحد أحداً (٣).

وروى صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه، الكتاب الذي بعثه أمير المؤمنين إلى أهل مصر عندما ولّى عليهم مالك الأشتر (أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ،لا نأكل من قدم ،ولا واهٍ في عزم ، من أشد عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضر على الفجار من حريق النار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو مالك بن

(١) وفي كنز العمال (وركبت النساء على المنابر).

(٢) الشيخ الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة ج ٢، باب حديث الدجال - الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل، ج ١٢ ص ٣٢٦ - المتقي الهندي ، كنز العمال (٣٩٧٠٩) .

(٣) الشيخ الصدوق ، كمال الدين و تمام النعمة ج١ ص٧٨.

الحرث (الحارث) الأشتر ، حسام صارم لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، حكيم في السلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلّا بأمري ، وقد آثرتكم به نفسي نصيحة لكم ، وشدة شكيمته على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم على اليقين (١) .

قال صعصعة: قال أمير المؤمنين عليه السلام عندما أتاه خبر موت الأشتر: (إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين اللهم إني احتسبه عندك فإنّ موته من مصائب الدهر ، فرحم الله مالكاً فقد وفَّى بعهده ، وقضى نحبه ولقي ربه، مع أنّا قد وطنّا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنها أعظم المصائب) (٢).

وعن مالك بن عمير قال: (كنت قاعداً عند علي عليه السلام، قال: فجاء صعصعة بن صوحان فسلّم ثم قام فقال: يا أمير المؤمنين انهنا عما نهاك عنه رسول الله عليه السلام. فقال: نهانا عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير ونهانا عن القسي والميثرة الحمراء وعن الحرير والحلق الذهب) (٣). وعنه نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٨ هـ - إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الغارات، ج١ ص ١٦٦ - الشيخ الأميني ، الغدير، ج ٩ص ٣٩ - السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ج٩ ص ١٠٤.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الغارات ج١ ص ١٦٩.

(٣) صحيح مسلم (مسند عليّ) - مسند الإمام أحمد (مسند عليّ) رقم (٩٦٣) و(١١٦٣) - المصنف، لابن أبي شيبة (فيما نهي عنه من الظروف) - سنن النسائي ، حديث (٥١٦٩) ذكر الأوعية التي نهي عن الانتباذ فيها (والدباء، مصنوع من الدباء، والحنتم، هي الجرة الخضراء، ←

يستمتع من الحرير بشيء (١) . وفي سنن النسائي الصغرى عن عَمَّار بْن رُزَيْقٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ عَنْ عَلِيّ، قَالَ: «نَهَانِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنْ حَلْقَةِ الذَّهَبِ وَالْقَسِّيِّ وَالْمِيثَرَةِ وَالجِعَةِ»(٢).

وفي كتاب الغيبة للنعماني المتوفي ٣٨٠هـ عن مزاحم العبدي ، عن عكرمة بن صعصعة ، عن أبيه ، قال : " كان علي عليه السلام يقول : لا تنفك هذه الشيعة حتى تكون بمنزلة المعز ، لا يدري الخابس على أيها يضع يده ، فليس لهم شرف يشرفونه ، ولا سناد يستندون إليه في أمورهم " .

وعن الشعبي أنه كان يقول: سمعت رشيد الهجري والحارث الأعور وصعصعة بن صوحان العبدي، وسالم بن دينار الأزدي، كلهم يذكرون إنهم سمعوا عليّ بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول في خطبته: يا معشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوكم أو ليسلطنّ الله عليكم أقواماً أنتم أولى بالحق منهم، فيعذبكم الله بهم ثم يعذبهم بما شاء من عنده، أو من قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش، فأني أشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ معالجة ملك الموت لأشد من ضربة ألف سيف . أخبرني جبرئيل: يا عليّ إنه يصيبكم بعدي إثره وزلزال، فعليكم بالصبر الجميل . وقال لي أيضا: قضاء

والمزفت، الإناء الطلي بالزفت، والنقير، هو إناء منقور من الخشب، هي عبارة عن أوانٍ توضع فيها الخمر).

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق.

(٢) سنن النسائي، باب تحريم الذهب على الرجال - التاريخ الكبير، للبخاري - المزي ، تهذيب الكمال (ترجمة صعصعة) والقسي، ثياب مخلوطة بالحرير يؤتى بها من مصر.

مقضي على لسان النبيّ الأميّ: إنه لا يبغضك يا عليّ مؤمن ولا يحبك كافر، وقد خاب من حمل ظلما وافترى.

ثم جعل يقول لنفسه: يا عليّ إنك ميت أو مقتول، بل مقتول إن شاء الله . فما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من هذا (ثم أمرّ يده اليمنى على لحيته ثم وضعها على رأسه) ثم قال: أما لقد رأيت في منامي إنه يهلك فيّ اثنان (ولا ذنب لي) محبّ غال، ومبغض قال. ثم قال: ألا إنكم ستعرضون على البراءة منّي، فلا تتبرؤوا منّي، فإنّ صاحبكم واللهِ على فطرة الله التي فطر الناس عليها. ثم نزل عن المنبر(١) .

و عن صَخْر ابن عَبْدِ الله بنِ بُرَيْدَةَ عن أبيهِ عن جَدِّهِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً، وَإنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً، وَإنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالاً. فقَالَ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحَانَ: صَدَقَ نَبيُّ الله ﷺ. أَمَّا قَوْلُهُ: إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً، فالرَّجُلُ يَكُونُ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَهُوَ أَلْحَنُ بالْحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الْحَقِّ فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بِبَيَانِهِ فيَذْهَبُ بالْحَقِّ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً فيَتَكَلّفُ الْعَالِمُ إلَى عِلْمِهِ مَالا يَعْلَمُ فيُجهِّلُهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حكْماً فَهِيَ هٰذِهِ المَوَاعِظُ وَالأمْثَالُ الَّتي يَتَّعِظُ النَّاسُ بِهَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إنّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالاً فَعَرْضكَ كَلاَمكَ وَحَدِيثكَ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلا يُرِيدُهُ» (٢).

---

(١) القاضي النعمان المغربي ، شرح الأخبار ج ص ١٥٩ - إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الغارات.

(٢) الجصاص ، أحكام القرآن ج ١ - سنن أبي داوود (باب ما جاء في الشعر) (٥٠١٢) ج ٢ - فتح الباري (كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز) و(كتاب الطب، باب إنّ من البيان ←

وعن يحيى بن يعلي، بإسناده، عن صعصعة بن صوحان، أنه قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: خمسة من قريش ضالّون مضلّون، معاوية وعمرو بن العاص (١)

ومما يروى من أقوال صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه عن ميمون بن أبي شبيب قال: (قال صعصعة بن صوحان العبدي لابن أخيه: إذا لقيت المؤمن فحالفه وإذا لقيت الفاجر فخالفه) (٢).

وفي الكشاف والبحر المحيط، قال لأسامة ابن أخيه زيد بن صوحان: خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإنّ الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن (٣) .

وعن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان: سمعت زامل بن عمرو الجذامي يحدث عن ذي الكلاع الحميري، سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: إنما يبعث المقتتلون على النيات (٤) .

لسحراً) ج- بن عبد البر ، التمهيد ج٥ ص - تفسير القرطبي، آية ١٠٢ سورة البقرة - المزي ، تهذيب الكمال (٢٨٥٦) .

(١) القاضي النعمان المغربي ، شرح الأخبار ج ٢ ص١٥٧.

(٢) البيهقي ، شعب الإيمان، باب في حسن الخلق - بن قتيبة ، عيون الأخبار.

(٣) الزمخشري الكشاف ج١ تفسير قوله تعالى ﴿ لا تتخذوا الكافرين أولياء ﴾ ، تفسير (سورة آل عمران) - بن حيان الأندلسي ، البحر المحيط، ، تفسير الثعالبي .

(٤) بن حجر، لسان الميزان ترجمة عمرو بن شمر الجعفي الكوفي الشيعي، ج٤ (١٠٧٥).

وعن صعصعة بن صوحان أنّ علياً كبّر بالعراق الخمس والأربع والسبع، وكان يقول: قد كبّر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إحدى عشرة وتسعاً وسبعاً وستاً وخمساً وأربعاً (١)

وعن صعصعة بن صوحان أنه دخل على أمير المؤمنين لما وُلّي، فقال: يا أمير المؤمنين ! أنت أفضل، أم آدم أبو البشر ؟ قال عليٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تزكية المرء نفسه قبيح، قال الله تعالى لآدم: ﴿ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾.. الآية، وإنّ أكثر الأشياء أباحنيها الله، وتركتها وما قاربتها، ثم قال: أنت أفضل أم نوح ؟ فقال عليٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ نوحاً دعا على قومه، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي، وابن نوح كان كافراً، وابناي سيدا شباب أهل الجنة .

قال: أنت أفضل، أم موسى؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون، فقال: (إني أخاف أن يقتلون)، وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم .

قال: أنت أفضل، أم عيسى بن مريم ؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: عيسى كانت أُمّه في بيت المقدس، فلما جاءت وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجي، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأما أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في

(١) سنن الدارقطني، بيان تكبيرات صلاة الجنازة (١٤٩٧)، ج ١ ص٣٨٩.

الحرم، فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول لها: ادخلي، ودخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي(١) .

(١) أحمد الرحماني الهمداني ، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ص ٣٦٩ - للتبريزي الأنصاري ، اللمعة البيضاء .

صعصعة وساعة الفراق

ليس من السهل أن يفارق التلميذ أستاذه الذي تربّى على يده وأخذ من علومه، وإمامه الذي يحب ويقاتل من أجله وهو عارف بحقه، هنا تكون ساعة الفراق صعبة عصيبة تفوق ما يحتمله القلب أيّاً كان هذا القلب، ولقد كان رحيل الإمام عليه السلام خسارة كبرى لهؤلاء الأفذاذ الذين تعودوا سماع صوته والجلوس تحت منبره، ولما ضُرب أمير المؤمنين عليه السلام أخذ أصحابه يعودوه، ولما ثقل حاله لم يكن عليه إذن لما فيه من المرض، وهذا صعصعة بن صوحان يستأذن على أمير المؤمنين عليه السلام وقد أتاه عائداً لمّا ضربه ابن ملجم، فلم يكن عليه إذن، فقال صعصعة للآذن: قل له: يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً . فأبلغه الآذن ذلك فقال: وأنت يرحمك الله فقد كنت خفيف المؤنة، كثير المعونة (١) . هكذا يسلّم صعصعة بن صوحان على أمير المؤمنين من خلال الآذِن ، ويبعث بمشاعره وأحزانه ويرجع وفي نفسه حسرة تقبض القلب لعدم رؤيته مولاه أمير المؤمنين .

أول مأتم تأبينى للإمام على عليه السلام

وهاهو صعصعة يشيّع أمير المؤمنين عليه السلام إلى مثواه الأخير، ومن معه من خلّص أصحاب الإمام ولم يترك صعصعة هذه المناسبة تمر بدون أن يسجل للتاريخ إحدى روائعه ويترك للدنيا بصمة من بصماته، وهذا العلّامة المجلسي في

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني ، مقاتل الطالبيين ٢٣ - بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢٨٤ .

بحار الأنوار يذكر أنّ صعصعة وقف على قبر الإمام بعد دفنه ووضع إحدى يديه على فؤاده وأخذ شيئاً من تراب القبر وضرب به رأسه وقال: (بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين. ثم قال: هنيئا لك يا أبا الحسن ، فقد طاب مولدك ، وقوي صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك ، وقدمت على خالقك ، فتلقّاك الله ببشارته ، وحفّتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى ، فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى ، فأسأل الله أن يمن علينا باقتفاء أثرك والعمل بسيرتك ، والموالاة لأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام ، حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن(١) واستقام الإسلام وانتظم الإيمان ، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام ، بك اشتد ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبل ، وأقيمت السنن ، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك ، سبقت إلى إجابة النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ووقيته بنفسك ، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر ، قصم الله بك كل جبار عنيد وذلّ بك كل ذي بأس .

شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئا لك يا أمير المؤمنين ، كنتَ أقربَ الناس من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قرباً وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً وفهماً ، فهنيئاً لك يا أبا الحسن لقد شرّف الله مقامك وكنتَ أقربَ الناس إلى رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نسباً ، وأوّلهم

(١) أبرت الفتن: أي أصلحتها.

إسلاماً وأوفاهم يقيناً ، وأشدّهم قلباً ، و أبذلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أذلّنا بعدك ، فوالله لقد كانت حياتك مفتاحاً للخير ومغالقاً للشر ، وإنّ يومك هذا مفتاح كل شرّ ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة (١) .

ثم بكاه بكاءً شديداً وأبكى كل من كان معه ،وكان ذلك في حضرة الإمامين الحسن والحسين. يقول الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان(٢): وبذلك انعقد في جوف الليل مأتم يخطب فيه صعصعة بن صوحان ويحضره الإمامان الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، وبعد أن انتهى صعصعة من خطبته، قام الناس بتعزية الإمامين الحسنين .

تدلّ هذه الخطبة التي ألقاها صعصعة بعد دفن الإمام عليه السلام دلالة واضحة على مدى علم صعصعة ومعرفته الحقيقية بالإمام ومكانة الإمام عند الله ومنزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا بلا شك ما دعا الإمام الصادق عليه السلام يقول: إنه لم يعرف الإمام عليّاً حق معرفته إلا صعصعة وأصحابه، ففي هذه الخطبة مضامين لا يعرفها إلّا مَن عرف أهل البيت معرفة تامة، ولو أن إنساناً في زمننا هذا أراد أن يؤبِّن الإمام، لما استطاع أن يصل لما وصل إليه صعصعة من وصف الإمام وأحقيته ومنزلته، كيف لا وهو صاحبه وسيفه الذي يبطش به وسهم من سهامه

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٩٥ .
(٢) مفاتيح الجنان ، الصلاة والدعاء في مسجد زيد ص ٥٠٣.

وتلميذ من تلامذته، فما بالك برجل تتلمذ على يد أستاذ الإنسانية كيف يكون حاله ؟.

ولما فرغ الإمام الحسن عليه السلام من دفن أمير المؤمنين ورجع، دخلت عليه أخته أم كلثوم وأقسمت عليه أن لا يترك الملعون (ابن ملجم) في الحياة ساعة واحدة، وكان قد عزم على تأخيره ثلاثة أيام، فأجابها إلى ذلك وخرج لوقته وساعته وجمع أهل بيته وأهل البصائر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، كصعصعة(١) والأحنف وما أشبههما رضي الله عنهم، وتشاوروا في قتل ابن ملجم لعنه الله، فكلٌّ أشار في قتله في ذلك اليوم، واجتمع رأيهم على قتله في المكان الذي ضُربَ فيه الإمام عليّاً.

(١) واضح من هذه الروايات في دفن الإمام وتأبينه والتشاور في قتل قاتله تواجد صعصعة بشكل دائم ومستمر دال على موقعه كشخصية رئيسية وفاعلة كما أنّ وصف العلامة المجلسي عليه الرحمة بأنه من (أهل البصائر) له مدلولاته التي لا تخفى على أحد . بحار الأنوار، ج ٤٢ ص ٢٩٧.

صعصعة يرثى الإمام على عليه السلام [1]

إلى مَن لي بأُنسك يا أُخيّا ومَن لي أن أبثّـك مـا لديّا

طَوتك خُطوبُ دهرٍ قد تولّى لذاك خطوبُه نشراً وطيّا

فلو نشَرتْ قواك ليَ المنايا شكوتُ إليك ما صنعت إليّا

بكيتُك يا عليُّ لدر عيني فلـــم يُغنِ البكاءُ عليك شيّا

كفى حُزناً بدَفنِكَ ثمّ إني نفضتُ ترابَ قبرِكَ من يَديّا

وكانت في حياتك لي عظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

فيا أَسَفى عليك وطول شوقي ألا لـــو أنّ ذلك رَدَّ شيّا

وقال أيضاً في رثاء الإمام [2]

هل خبّر القبر سائليه أم قرَّ عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علماً بالجسد المستكين فيه

لو علم القبر من يُواري تاه على كل من يليه

---

(١) الفتال النيسابوري المتوفي ٥٠٨ هـ ، روضة الواعظين عن الإمام جعفر بن محمد – و ذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات ج ٢٠ هذه الأبيات لأبي العتاهية المتوفي ٢١٣ هـ وهي مرثيته لعلي بن ثابت و كذلك ذكرها الجاحظ في كتابه البيان و التبيين و ذكرت المصادر هذه الأبيات لصعصعة بن صوحان قالها على قبر أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفنه .

(٢) بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ج ٣ فصل مقتله عليه السلام – يوسف ابن حاتم العاملي ، الدرر النظيم .

يا موت ماذا أردت مني حققت ما كنت أتقيه

يا موت لو تقبل افتداء لكنت بالروح افتديه

دهـر رمـاني بفقـد إلفـــي أذمُّ دهـري وأشتكيـــه

وبعد استشهاد الإمام عليه السلام وانتهاء الأمر بين الإمام الحسن ومعاوية إلى الصلح بالشروط التي اشترطها الإمام الحسن كان من ضمن هذه الشروط أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان صعصعة بن صوحان منهم ، خوفاً عليهم من الاغتيال والسجن والمضايقات، ولأهمية هؤلاء الرجال وهم البقية الباقية من رجالات عليّ عليه السلام وهو بعد نظر واضح عند الإمام عليه السلام للحفاظ على هؤلاء الأفذاذ لما لهم من دور كبير في إدارة شؤون المجتمع ويشكلون خط الدفاع الأول ضد الهجمة الأموية وعليهم المعتمد في نشر فكر أهل البيت، فلم يكن صلح الإمام مع معاوية في رأيي إلّا معركة حاسمة وشرسة، معركة أكون أو لا أكون، أي: أنها كانت معركة مصيرية بكل معنى الكلمة وكان النصر للإمام الحسن عليه السلام .

فلما قدم معاوية الكوفة، دخل عليه رجال من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان من بينهم صعصعة، قال معاوية لصعصعة: أما واللهِ إني كنت لأبغض أن تدخل في أماني .

فقال له صعصعة: وأنا واللهِ أبغض أن أُسمّيك بهذا الاسم، ثم سلّم عليه بالخلافة

فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن عليّاً !

قال: فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أتيتكم من رجل قدّم شرّه وأخّر خيره وأنه أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله (١).

فضج أهل المسجد بآمين، فلما رجع إليه فأخبره بما قال.

فقال معاوية: لا والله ما عنيت غيري، ارجع حتى تسمّيه باسمه.

فرجع وصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إنّ معاوية أمرني أن ألعن عليَّ بن أبي طالب، فالعنوا مَن لعن عليَّ بن أبي طالب. قال: فضجوا بآمين.

قال: فلما أُخبر معاوية، قال: لا والله ما عنى غيري، أخرجوه لا يساكنني في بلد. فأَخرجوه (٢).

هكذا ضاقت صدورهم به فلم يستطيعوا احتمال بقائه بينهم، وكما أبعدوا من كان قبله أمثال أبي ذر وغيره جاء القرار بإبعاده عن الكوفة إلى البحرين لكي يسلموا من لسانه، فعندما يكون اللسان خطراً على الحاكم يكون الحلّ في الاغتيال أو الإبعاد، هكذا يستطيع معاوية وأمثاله تضليل الناس وقلب الحقائق وتغيير الموازين وهو في راحة بال ويصفو له الجو (خلى لكِ الجو فبيضي واصفري ونقّري ما شئتِ أن تنقّري) هكذا ذهب من يلجم لسانهم ويلقمهم الحجر تلو الحجر.

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال - إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات ج٢ - بن عبد ربه، العقد الفريد ج٢ ص٢٧٤، باب الكناية يروى بها عن الكذب والكفر- بن الجوزي، تفسير زاد المسير، سورة الأنبياء، آية ٥٩.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال - السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ج٩ ص ١٠٦.

وفاته رضوان الله تعالى عليه

توفي صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه في جزيرة أوال (مملكة البحرين) بعد أن نفاه المغيرة بأمر من معاوية إليها سنة ٥٦ هجرية (١)، وقيل سنة ٦٠ هجرية(٢) وله من العمر سبعين سنة تقريباً، ودفن في قرية (عسكر) الواقعة جنوب جزيرة المنامة العاصمة في البحرين، ويقع بها ضريح صعصعة ومسجده المسمّى باسمه على ساحل البحر، وكانت تعلوه قبة ثم تهدمت ولم يُعَد بناؤها من جديد(٣)، والمسجد قديم بسيط البناء وعليه ضريح وشباك وفي المسجد قبور بعض الصالحين وهو مزار مشهور لدى عامة الناس ويؤمّه الزائرون من كل مكان في البحرين باختلاف طوائفهم، في العطل وفي المناسبات . قال صاحب التحفة النبهانية ومشهور عند أهل البحرين أن من خصائص قرية عسكر عدم دخول الطاعون فيها ، و يعدونها كرامة لصعصعة رضي الله عنه ، قال و فحص عن ذلك فلم يسمع منذ سكنتها العرب أن أحدًا مات بها مطعونًا قط والله يختص برحمته من يشاء .

---

(١) الأعلام، للزركلي، ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) الطريحي ، العتبات المقدسة في الكوفة ص١٩٧ - الصفدي ، الوافي بالوفيات، حرف الصاد، ج٢٠، المشهدي ، فضل الكوفة ومساجدها،.

(٣) التحفة النبهانية، ص٢٨. وفي مراقد المعارف أن القبر مجلل ومحترم عند عامة المسلمين لما يشاهدون له من كرامات وأن الشيعة والسنة تتعاهده بالزيارة.

وقيل نفي الى جزيرة ابن كافان (١) و ذكر بن حجر وذكر العلائي في أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين وقيل إلى جزيرة بن كافان فمات بها حتى مات بها (٢) .

وقيل توفي في الكوفة في خلافة معاوية(٣) في منطقة تسمى (الثوية) أو (الجعفرية) ولم يعرف إلى الآن أنّ لصعصعة قبراً لا في الكوفة ولا في ضواحيها القديمة(٤) .

وفي التاريخ الكبير أنه أدرك خلافة يزيد بن معاوية، وهو أمر مخالف لكل الروايات ولا صحة له(٥) . و ذكر السيد عبد الجبار البحراني(٦) في كتابه (مقتل أمير المؤمنين عليه السلام) في أوائله خطبة البيان المنسوبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ونقل فيها الحكاية المشهورة من مجيئ عبد الملك بن مروان الأموي للبحرين لمّا التجأ إليها أكابر الشيعة كصعصعة بن صوحان وأخيه زيد بن صوحان العبديين وإبراهيم بن مالك الأشتر رضوان الله تعالى عليهم وغيرهما أو أنهما من عمال الحسن السبط الزكي عليه السلام وطلبه لهم وتسييره الجنود المجندة على أهل البحرين

---

(١) جزيرة بني كاوان.

(٢) بن حجر ، الإصابة ج ٣ ص ٤٦٢.

(٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات، حرف الصاد - المزي ، تهذيب الكمال .

(٤) الطريحي ، العتبات المقدسة في الكوفة ص ١٩٨ .

(٥) البخاري ، التاريخ الكبير رقم (٢٩٧٩) - جاء في شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٢ ص ١٦٦ وعن صعصعة بن صوحان، أنه قال ـ في أيام يزيد ـ : ليت الأرض لفظت إلينا معاوية لننظر إليه كيف عذبه الله، وينظر إلينا كيف عذبنا ابنه . ولم نرَ أحداً ممّن كتب عن الرجال وممّن ذكر صعصعة بن صوحان قال إنه بقى إلى زمن يزيد بن معاوية وربما صعصعة المذكور في الرواية يقصد به غيره وهو أمر وارد أو أحد أبناء صعصعة بن صوحان و سقط اسم الابن في الخبر .

(٦) السيد عبد الجبار ابن السيد حسين الحسيني البحراني.

وهو في القطيف وتقع الدائرة على جنوده وجيوشه مراراً متعددة حتى عبر إليهم بنفسه واحتال عليهم وأغرى أشرارهم وخدعهم فثاروا على خيارهم وقتلوهم وقتلوا المشار إليهم آنفا، ثم ندمت الأشرار على ما صنعوا بالأخيار، فارتدوا عليه ثم عاهدهم على شروط، وترك البحرين في أيديهم، في حكاية طويلة مبسوطة، وللمشار إليهم من رؤساء الشيعة قبور ومقامات معروفة تزورها الناس، والظاهر أنه أخذها عن الشيخ يوسف عليه الرحمة (صاحب الحدائق) في (الكشكول) وجمد عليها شيخنا ولم يتكلم عنها بشيء ، وعلّق الشيخ علي البلادي بقوله: والظاهر أنّ هذه الحكاية لا أصل لها والله العالم؛ لأن زيد بن صوحان رضي الله عنه قتل يوم الجمل باتفاق المؤرخين وأهل السير، قتله عمرو بن يثربي الأزدي أشجع أهل البصرة (١).

أقول: إن استشهاد زيد بن صوحان رضوان الله تعالى عليه في الجمل مع أمير المؤمنين هو من المسلّمات ومحل اتفاق الجميع ، الأمر الذي ينسف الرواية التي رواها السيد عبد الجبار البحراني، سابقة الذكر وسوف نتكلم عن زيد بن صوحان بشيء من التفصيل في الصفحات التالية .

وأما أخوه صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه، فالظاهر من بعض الكتب المعتبرة أنه قتله معاوية ولم يبق إلى زمان الحسين عليه السلام، فضلاً عن زمان عبد الملك أو أبيه مروان، وأما إبراهيم بن الأشتر رضوان الله تعالى عليه فقد قتله

---

(١) الكلام لصاحب أنوار البدرين.

عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير في العراق، وقبره معروف مشهور قريب من سرّ مَن رأى، قريب من قبر مصعب بن الزبير(١).

هكذا كان ردّ صاحب أنوار البدرين على هذا الرأي الغريب الذي يتناقض مع كل ما ذكرناه في كتابنا هذا من مصادر كثيرة ومختلفة من كلا الفرقين والتي تبيّن أنّ صعصعة في أكثر الروايات شيوعاً قد نفاه معاوية إلى البحرين بعد أن ضاق صدره منه ومن معارضته للنظام القائم وقد أوردنا أنّ الإمام السجاد عليه السلام قد ترحم على صعصعة بعد أن اعتذر إليه صوحان بن صعصعة بن صوحان عن نصرة أبيه الحسين عليه السلام لِما به من مرض، وهو يدلّ على وفاة صعصعة قبل استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فلم يبق رضوان الله عليه إلى زمان نهوض الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى ما نقلناه عن آراء كل مَن كتب عنه رضوان الله تعالى عليه والذين أجمعوا تقريباً على أنه نفي إلى مكان ما، وأكثرهم ذكر البحرين وهو الرأي الأكثر شهرة . أما زيد بن صوحان فإنه استشهد مع أمير المؤمنين في الجمل باتفاق الجميع وواضح أنّ هذا الرأي كتب بدون تثبّت ونُقل من دون عناية .

ويُروى عن صعصعة بن صوحان، أنه قال - في أيام يزيد -: ليت الأرض لفظت إلينا معاوية لننظر إليه كيف عذّبه الله، وينظر إلينا كيف عذبنا ابنه(٢) . وهذا خبر غريب يناقض ما ذكرناه من وفاة صعصعة رضوان الله عليه أيام

---

(١) الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ص ١٠٩ .
(٢) القاضي النعمان المغربي ، شرح الأخبار ج ٢ ص ١٦٦ .

معاوية، ولم يدرك أيام يزيد، غير أنه ربما كان الكلام لصوحان بن صعصعة، فوقع الناقل في لبس .

مسجد صعصعة بن صوحان بالكوفة :

يوجد لصعصعة مسجد مسمّى باسمه في الكوفة وآخر لأخيه زيد، ولكن لا يحتويان على قبريهما، ولمسجد صعصعة وزيد في الكوفة أعمال مذكورة في كتب الأدعية(١)، كما ذكروا أنّ له فضائل وكرامات، ومسجده من المساجد الشريفة، وقيل إن صعصعة هو من قام ببنائه وكان يصلّي ويتعبد فيه(٢).

ويُروى أنّ الخضر عليه السلام يزور مسجد زيد بن صوحان، وهذا ما سوف نذكره عند حديثنا عن زيد رضوان الله تعالى عليه في كتابنا هذا بعد هذه السطور

---

(١) انظر مفاتيح الجنان، الصلاة والدعاء في مسجد زيد، فضل الكوفة ومساجدها، للمشهدي، المزار، للشهيد الأول.

(٢) عن خالد بن عرعرة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: « إنّ بالكوفة مساجد مباركة ومساجد ملعونة، فأما المباركة فمنها: مسجد غني وهو مسجد مبارك، والله إنّ قبلته لقاسطة، ولقد أسّسه رجل مؤمن، وإنه لفي سرة الأرض وإنّ بقعته لطيبة، ولا تذهبَ الليالي والأيام حتى تنفجر فيه عيون، ويكون على جنبيه جنتان، وإنّ أهله ملعونون وهو مسلوب عنهم، ومسجد جعفي مسجد مبارك، وربما اجتمع فيه ناس من العرب من أوليائنا فيصلّون فيه، ومسجد بني ظفر مسجد مبارك، والله إنّ فيه لصخرة خضراء وما بعث الله من نبيّ إلاّ فيها تمثال وجهه وهو مسجد السهلة، ومسَجد الحمراء وهو مسجد يونس بن متي عليه السلام ولينفجرن فيه عين يظهر على السبخة وما حولها .

وأما المساجد الملعونة: فمسجد الأشعث بن قيس، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد ثقيف، ومسجد سماك، ومسجد بالحمراء بني على قبر فرعون من الفراعنة . انظر تاريخ الكوفة، السيد البراقي، ص ٧٦ - العلامة الحلي ، نهاية الإحكام ج ١، ص٣٥٤ - المشهدي ، فضل الكوفة ومساجدها.

وهو مَن بشَّره الرسول بالجنة وأخبر عنه الصحابة في أحاديث مستفيضة وكثيرة روتها كتب المسلمين جميعاً وهو من الأبدال العظماء الثقات الأتقياء من خلّص أصحاب أمير المؤمنين، حاز على احترام كل المسلمين على مختلف طوائفهم ومذاهبهم .

كما ذكر العلّامة المجلسي في البحار أنّ الإمام الحجّة روحي له الفداء شوهد يزور مسجد صعصعة(١) في الكوفة في شهر رجب ويدعو بهذا الدعاء :

(اللهم يا ذا المنن السابغة والآلاء الوازعة) جاء عن علي بن محمد التستري أنه قال: مررت ببني رواس فقال لي بعض إخواني: لو مِلْتَ بنا إلى مسجد صعصعة فصلّينا فيه، فإنّ هذا رجب ويستحب فيه زيارة هذه المواضع المشرفة التي وطأتها الموالي بأقدامهم وصلّوا فيها، ومسجد صعصعة منها ، قال: فمِلْتُ معه إلى المسجد وإذا ناقة معقّلة مرحّلة قد أُنيخت بباب المسجد، فدخلنا وإذا برجل عليه ثياب الحجاز وعِمّته كعِمّتهم قاعد يدعو بهذا الدعاء، فحفظته أنا وصاحبي وهو (اللهم يا ذا المنن السابغة والآلاء الوازعة ....) فلما انتهى منه سجد طويلاً وقام وركب الراحلة وذهب. فقال لي صاحبي: نراه (الخضر) عليه السلام ؟ فما بالنا لا نكلّمه؟ كأنما أمسك على ألسنتنا وخرجنا فالتقينا بابن أبي داوود الرواسي فقال: من أين أقبلتما ؟ قلنا: من مسجد صعصعة، وأخبرناه الخبر ، فقال: هذا الراكب يأتي مسجد صعصعة في اليومين والثلاثة(٢) لا يتكلم . قلنا:

(١) السيد حسين البراقي ، تاريخ الكوفة - بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٤٤٦.

(٢) تتضح عظمة صعصعة بن صوحان رضوان الله تعالى عليه في تكرار الزيارة إليه من الإمام عليه السلام أو الخضر عليه السلام حسب هذه الروايات ومدى مكانته عند الله سبحانه وعند أهل البيت عليهم السلام .

مَن هو؟ قال: فمَن تريانه أنتما ؟ قلنا: نظنه الخضر عليه السلام. فقال: أنا والله ما أراه إلّا مَن الخضر محتاج إلى رؤيته (يعني صاحب العصر والزمان روحي فداه) (١) .

وفي هذه الزيارة من الإمام المنتظر عليه السلام ، الكثير من المعاني كما أتصور، فهي بلا شك اعتراف بحق هذا البطل ومنزلته الرفيعة والعظيمة عند الله عزّ وجلّ فهو من الأولياء الصالحين، وكأني بالإمام روحي فداه ينتظر أصحاباً يكونون على شاكلة صعصعة، ليعتمد عليهم في زمان كثر فيه الفسق والدجل والرياء ويلهثون وراء الدنيا، زمان قلّ فيه الرجال أمثال صعصعة بن صوحان .

(١) وهناك رواية أخرى مماثلة في البحار غير أنه قال: إنهم اتجهوا إليه وكلّموه وسألوه إن كان هو الخضر، فأجابهم إنه مَن الخضر محتاج إلى رؤيته.

المراجع

١- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢- الكشي، رجال الكشي، جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ ، أو الأعلمي للمطبوعات، كربلاء المقدسة.

٣- ابن داوود، رجال ابن داوود، ابن داوود الحلي، مؤسسة النشر في جامعة طهران، ١٣٨٣ هـ .

٤- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢ م.

٥- ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م .

٦- الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت، قم .

٧- السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال السيد الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

٨- محمد علي الأردبيلي الغروي الحائري، جامع الرواة، مكتب المحمدي، قم .

٩- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٦، ٢٠٠٥ م .

١٠- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م .

١١- السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ .

١٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٣- الجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق، معجم طبقات المتكلمين، قم، ١٤٢٤هـ.
١٤- السيد هاشم الشخص، أعلام هجر، أم القرى للنشر، الطبعة الثانية.
١٥- سالم النويدري، أعلام الثقافة الاسلامية في البحرين الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٦ م.
١٧- ابن حبان، الثقات، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
١٨- الصفدي، الوافي بالوفيات، دار صادر بيروت عن طبعة الهند، ١٩٦٢م.
١٩- رجال العلامة الحلي، دار الذخائر، قم، ١٤١١هـ.
٢٠- الذهبي، ميزان الاعتدال، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣م.
٢١- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت.
٢٢- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م.
٢٣- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م.
٢٤- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٣ م.
٢٥- أبو المحاسن محمد العلوي الحسيني، التذكرة لمعرفة رجال الكتب

العشرة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ .

٢٦- الإمام الحافظ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م .

٢٧- البخاري، التاريخ الكبير، طبعة قديمة .

٢٨- تاريخ خليفة بن خياط العصفري، دار الفكر، بيروت .

٢٩- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٠- تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.

٣١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م .

٣٢- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤ م .

٣٣- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت .

٣٤- المسعودي، مروج الذهب، دار الأندلس، بيروت.

٣٥- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، طبعة قديمة .

٣٦- ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت ١٤١٥ هـ .

٣٧- نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، وقعة صفين، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٣ هـ.

٣٨- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، المكتبة العصرية، بيرو ت، ٢٠٠٤م.

٣٩- السيد حسين البراقي، تاريخ الكوفة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٠هـ .

٤٠- إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات، دار الكتاب، قم.

٤١- الشيخ المفيد، الجمل، منشورات مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.
٤٢- الشيخ الصدوق، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات حوزة قم المقدسة .
٤٣- المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مكتبة التراث الإسلامي، حلب ، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م .
٤٤- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣ م .
٤٦- الشيخ عبد الحسين الأميني، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٧م .
٤٧- ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٦ هـ.
٤٨- المحدث ميرزا النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٨ هـ.
٤٩- علي بن يونس البياضي، الصراط المستقيم، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٤ هـ.
٥٠- ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤ م.
٥١- الجاحظ، البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
٥٢- الشيخ الطوسي، الأمالي، دار الثقافة للنشر، قم، ١٤١٤ هـ.
٥٣- الشيخ المفيد، الاختصاص، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ .
٥٤- الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، مؤسسة الأعلمي، بيروت،

١٤١٢هـ .

٥٥- محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت .

٥٦- شاذان بن جبريل القمي، الفضائل، دار الرضي، قم، ١٣٦٣ هـ.

٥٧- الشيخ المفيد، الإرشاد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ .

٥٨- الأحمدي الميانجي، مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦ هـ .

٥٩- محمد بن شهرآشوب المازندراني، المناقب (مناقب آل أبي طالب)، مؤسسة العلاّمة للنشر، قم، ١٣٧٩ هـ.

٦٠- محمد بن محمد البرقي، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١هـ.

٦١- أحمد بن طاووس الحلي، بناء المقالة الفاطمية، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١١هـ.

٦٢- السيد علي بن طاووس الحلي، اللهوف، دار العلم (جيهان)، طهران، ١٣٤٨هـ .

٦٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت، بيروت، ١٩٩٣م .

٦٤- ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م .

٦٥- الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، دار الشريف الرضي، قم، ١٤١٢ هـ.

٦٦- الشيخ الصدوق، كمال الدين، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٩٥ هـ.

٦٧- قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم،

١٤٠٩ هـ .
٦٨- التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة .
٦٩- أبو العلاء الماركفوري، تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، دار الفكر، بيروت .
٧٠- محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، بصائر الدرجات، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤١٤هـ.
٧١- شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م .
٧٢- ابن الأثير الجزري (المحدث)، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ .
٧٣- أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٧٤- الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، طبعة قديمة .
٧٥- ابن الجوزي، غريب الحديث، دار الكتب العلمية .
٧٦- ابن سلام، غريب الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت .
٧٧- ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م .
٧٨- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢ م .
٧٩- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة، بيروت .

٨٠- عبد الله بن سبأ، السيد مرتضى العسكري، الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ .
٨١- السيد شرف الدين الحسيني، تأويل الآيات، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .
٨٢- الذهبي، الكشاف، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، جدة، ١٩٩٢م .
٨٣- الشهيد نور الله التستري، الصوارم المهرقة، مطبعة نهضت، ايران .
٨٤- ثقة الاسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران .
٨٥- الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، دار الكتب الاسلامية، طهران .
٨٦- الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، دار العالم للنشر (جهان) .
٨٧- ابن قتيبة، المعارف، دار المعرفة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م.
٨٨- البيهقي، شعب الايمان، دار الكتب العلمية، بيروت .
٨٩- محمد باقر البهبهاني، الدموع الساكبة، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٩هـ .
٩٠- الحافظ ابن أبي شيبة الكوفي العبسي، المصنف في الحديث والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م .
٩١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مكتبة دارالفيحاء، دمشق، ط١ ١٩٩٧م.
٩٢- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
٩٣- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
٩٤- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية،

١٩٩٥م.
٩٥- ابن شهر آشوب، معالم العلماء .
٩٦- الرعاية في علم الدراية، مطبعة بهمن، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ .
٩٧- العلّامة الحلّي، خلاصة الأقوال، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ .
٩٨- المولى حيدر الشيرواني، مناقب أهل البيت، مطبعة المنشورات الإسلامية، ١٤١٤هـ.
٩٩- السيد علي خان المدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٧هـ .
١٠٠- الشيخ علي اليزدي الحائري، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب .
١٠١- السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، مطبعة حافظ، قم، ١٤١٥ هـ .
١٠٢- السيد محسن الأمين، لواعج الأشجان، مطبعة العرفان، صيدا، منشورات بصيرتي، قم المقدسة.
١٠٣- الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
١٠٤- الشاهرودي، مستدرك علم رجال الحديث، مطبعة حيدري، طهران، ١٤١٤ هـ .
١٠٥- ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت .
١٠٦- السيد شرف الدين، المراجعات، الدار الإسلامية، بيروت .
١٠٧- السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية، مطبعة آفتان، منشورات مكتبة الصادق، طهران .
١٠٨- السيد البروجردي، طرائف المقال، مكتبة آية الله المرعشي، قم،

١٤١٠هـ .
١٠٩- الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ .
١١٠- الحميري القمي، قرب الإسناد، مطبعة مهر، قم، ١٤١٣ هـ .
١١١- التفرشي، نقد الرجال، مطبعة ستاره، قم، ١٤١٨ هـ .
١١٢- محمد سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، مطبعة النهضة، قم، ١٤١٢هـ .
١١٣- المازندراني، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م .
١١٤- البغدادي، خزانة الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ هـ .
١١٥- الحاكم النيسابوري، المستدرك .
١١٦- القاضي النعمان، شرح الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، ١٤١٤هـ .
١١٧- البلاذري، أنساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٤م .
١١٨- الميرجاني، مصباح البلاغة .
١١٩- أحمد بن عبد الله الطبري، ذخائر العقبى،مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦ هـ .
١٢٠- القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، دار الأسوة ، ١٤١٦ هـ .
١٢١- العلّامة الحلّي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق آية الله حسن زاده الآملي، الطبعة السابعة، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.
١٢٢- شاذان بن جبريل القمي، الروضة في فضل أمير المؤمنين .

١٢٣- الشيخ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م .

١٢٤- الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، ١٤١٦ هـ.

١٢٥- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٧ هـ.

١٢٦- الجصّاص، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق عبد السلام شاهين، ١٤١٥ هـ .

١٢٧- المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها، دار المرتضى، بيروت .

١٢٨- الشهيد الأول، المزار، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٤١٠ هـ .

١٢٩- النيسابوري، روضة الواعظين، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة .

١٣٠- محمد بن جرير الطبري، نوادر المعجزات، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤١٤ هـ .

١٣١- الشيخ المحمودي، نهج السعادة، مؤسسة الأعلمي، بيروت .

١٣٢- جار الله الزمخشري، الفايق في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ .

١٣٣- السيد هاشم البحراني، غاية المرام، تحقيق: السيد علي عاشور .

١٣٤- الميرزا محمد تقي الأصفهاني، ميكال المكارم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢١ هـ.

١٣٥- السيد بهاء الدين النجفي، منتخب الأنوار المضيئة، مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ .

١٣٦- موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم،

مطبعة اعتماد، قم .

١٣٧- الشيخ جعفر النقدي، الأنوار العلوية، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٢ م .

١٣٨- ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

١٣٩- الشيخ علي البلادي البحراني، أنوار البدرين، مؤسسة الهداية، بيروت، ٢٠٠٣م .

١٤٠- للسيد شرف الدين، صلح الإمام الحسن .

١٤١- محمد بن عقيل المتوفىٰ ١٣٥٠هـ ، النصائح الكافية، دار الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٢ هـ .

١٤٢- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق: الزيني، مطبعة أمير، قم المقدسة .

١٤٣- سيف بن عمر الضبي المتوفىٰ ٢٠٠هـ، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عمروش، دار النفائس، بيروت، ١٣٩١هـ .

١٤٤- السيد حامد النقدي المتوفىٰ ١٣٠٦ هـ، خلاصة عبقات الأنوار مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٥هـ .

١٤٥- ابن الدمشقي المتوفىٰ ٨٧١هـ، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ، مطبعة باسدار إسلام، قم، ١٤١٦ هـ .

١٤٦- الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م .

١٤٧- الجوهري، المتوفىٰ ٣٢٣هـ، السقيفة وفدك، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، شركة المكتبي، بيروت، ١٤١٣ .

١٤٨- الطباطبائي، تفسير الميزان .

١٤٩- الزمخشري، تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م .

١٥٠- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م .

١٥١- فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١٠ هـ .

١٥٢- أبو الفرج ابن الجوزي، تفسير زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم.

١٥٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م .

١٥٤- تفسير الجلالين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م .

١٥٥- العلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م .

١٥٦- تفسير القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م .

١٥٧- ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .

١٥٨- الحافظ المندزي، مختصر سنن أبي داوود، تهذيب ابن القيم الجوزية، المكتبة الأثرية، باكستان، ١٣٩٩هـ.

١٥٩- سنن النسائي، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور، باكستان، طبعة قديمة.

١٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م .

١٦١- سنن الدار قطني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ .
١٦٢- مسند أبي يعلى الموصلي، المتوفى ٣٠٧هـ ، تحقيق: حسين سلم أسد، دار المأمون للتراث .